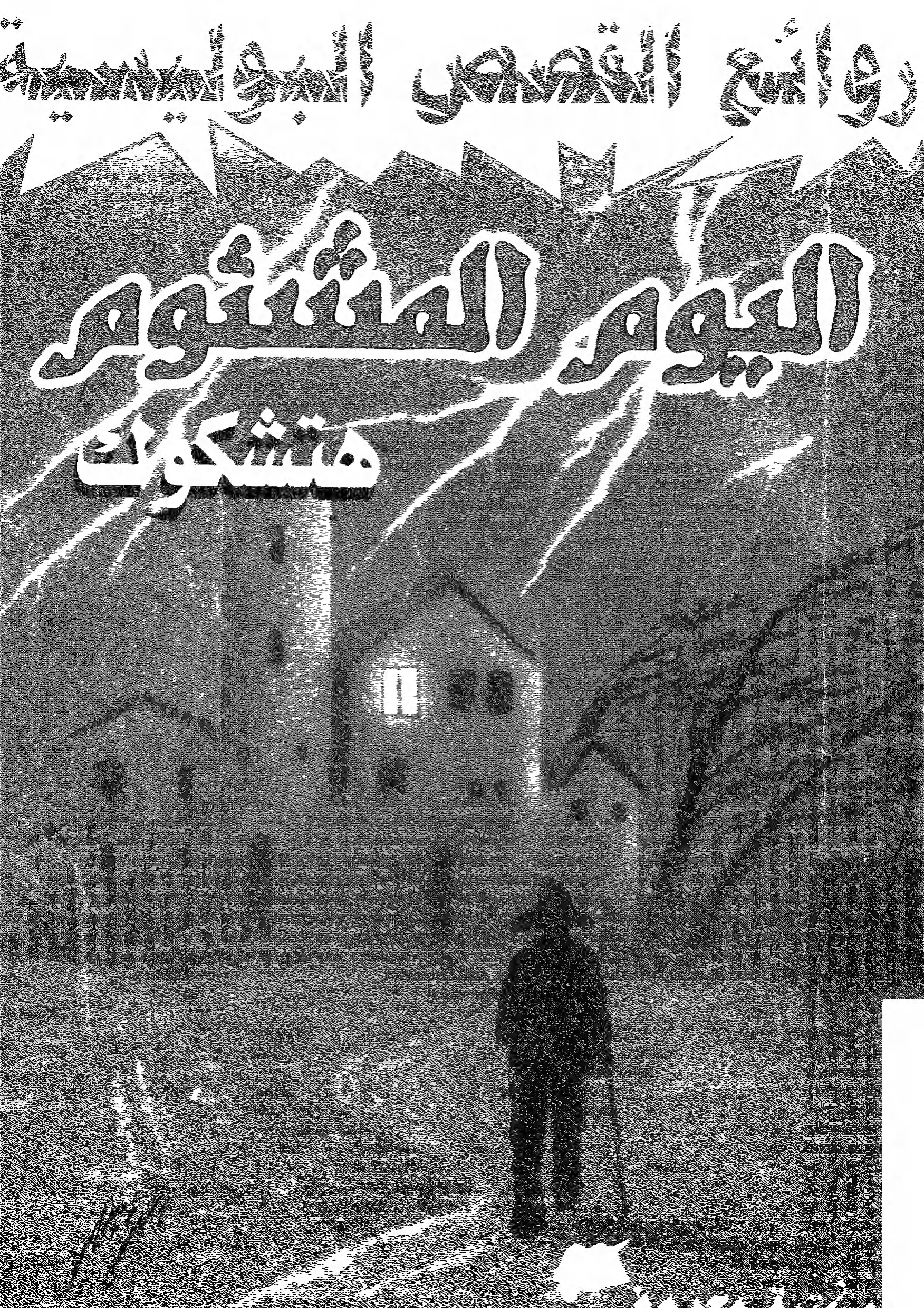

روائع القصص البوليسية
اليوم المشئوم
هتشكوك

روائع القصص البوليسية

اليوم المشئوم

محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القـــاهرة: ٢٦١١٢٢٩   ص.ب ١٣٧٠ الإسكندرية

اليوم المشئوم

الحقيقة أليمة عند بعض الناس ولكن فى مجال الحديث هناك مؤثرات مشابهة مهلكة يمكن أن تنتج من وجهة النظر المضادة إذا نحن أعطيناها معناها الحرفى ..

كان قلبه لايزال يخفق بشدة وهو جاثم بين الأحراش خلف البيت الصغير الذى جاء إليه لكى يقتل صاحبه .

وكانت معدته لاتزال تؤلمه والعرق البارد يتصبب من كل جسده .

فمنذ نصف ساعة فقط لم يكن بينه وبين ارتكاب جريمة القتل غير خمس دقائق ، وكان يقف بالباب الخلفى للبيت واحدى يديه فى جيبه تقبض على مسدسه الضخم ويده الاخرى فى طريقها لكى تقرع الباب عندما سمع من خلال النافذة المفتوحة المزودة بالقضبان الحديدية وقع أقدام ثقيلة أمام الباب العمومى وطرقة قوية على الباب وصوت الشريف فريد ستراتون الرتيب الكسول وهو يحيى الرجل الذى بالداخل قائلا فى رفق :

- تشارلي .. أيها الوغد الزنيم .. لقد حانت ساعتك .. افتح الباب قبل أن أحطمه .

ولم يسمع رد تشارلى لأنه أسرع يجرى نحو الأحراش التى خلف البيت وساقاه تكادان تخذلانه ومعدته تتقلص فى توتر شديد وقد أدرك أن الشريف لو تأخر فى القدوم خمس دقائق لضبطه فى البيت مع رجل ميت .

والآن وهو مختبئ بين الأحراش امتزج احساسه بالخوف بأريج الزهور ووقف فى بطء شديد وهو يحاول أن يتغلب على رعشة ساقيه .

وإنه ليكون من سوء حظه حقا أن يفاجئه ذلك الشريف الكسول البدين فان ستراتون كان اكسل رجل فى المدينة ولكنه كان معسول الكلام بحيث إنك تشعر بالرغبة في أن تضغط بيدك على صدره لكى تندفع الكلمات الى حلقه .

كان فريد ستراتون وتشارلى تيت صديقين حميمين كان تيت كتلة من النقود ولكن تيت لن يحتفظ بهذه النقود أطول من ذلك فما أن فارقه الشريف يفقد نقوده وحياته معا .

والحق ان هناك أناسا فى هذا العالم غريبى الأطوار فها هو تشارلى تيت وقد أشرف على السبعين يعيش فى الضنك كما أنه لا يثق فى أحد ولا فى أى شئ فيما عدا الشريف ستراتون نفسه ، وهو لا يثق فى البنوك كذلك ولهذا يحتفظ فى مسكنه بكل النقود التي جمعها طوال حياته من الأملاك التي يقتنيها والتى تبلغ نحو خمسين الف دولار من غير شك فهو لا ينفق سنتا واحدا ويعيش فى فقر مدقع خلف نوافذه المزودة بالقضبان وأبوابه الموصدة ورجل مثله خير له أن يموت .

وقال ايرل يحدث نفسه :

– ولسوف يموت إن النقود لا تفعل أي خير لتشارلى ولكنها ستفعل كل

الخير له هو بالذات وقد بلغ الثالثة والعشرين الآن لايملك غير الثياب التى عليه وطاقما آخر غيرها للغيار ولا شئ آخر ولكن الأمور ستتغير بعد اليوم لن يكون هناك بعد اليوم حديث كذلك الذى دار بينه وبين لويز ليميل فى اليوم السابق عندما سألها أن ترافقه فى نزهة .

قالت لويز وهى تنظر اليه فى براءة الاطفال :

– نزهة .. نزهة فى أى شئ يا ايرل ؟..

– فى عربة النقل ..إنها مريحة اكثر مما يبدو .

– اتعنى تلك العربة القديمة التي تنقل فيها العلف فى أنحاء البلد ؟.

قال :

– ولكن لا رائحة لها ، لو أن لها رائحة لما سألتك ذلك .

– حقا ؟.

ونظرت إليه لحظة طويلة بعينيها الرماديتين الواسعتين الغامضتين ثم قالت :

– لو أننى كنت مكانك لشعرت بالخجل وأنا أنطق بهذا القول .. ولكن الأمر سيان يجب أن أنصرف يا ايرل .. الوداع وانصرفت لا تلوى على شئ .

وبعد ساعة رآها إيرل تمر بمحل العلف الذى يعمل به ، وكانت جميلة فى ثوبها الصيفى الشفاف وكانت تنظر بعينيها الرمادتين الواسعتين وفى اهتمام إلى مقعدين تنطلق بهما إلى الملاهى حيث تتكلف وجبة عشاء واحد اكثر مما يربحه ايرل فى أسبوع .

ولكن سيتغير كل شئ بعد اليوم ، سينتظر وقتا كافيا بالطبع حتى لا يشتبه احد فى أمره ثم يهجر محل العلف العفن ويهجر المدينة كلها ، ولن يكون الشاب الأنيق الجالس بجوار فتاة جميلة فى سيارة مكشوفة إلا إيرل مونجر ..

بعد ظهر ذلك اليوم بادربتسليم الطلبات التى لديه بأسرع وقت ممكن بحيث وفر ساعة يستطيع فيها أن يقتل تشارلى ويسلبه نقوده قبل أن يبدأ مخدومه بأن يسأله اين كان ، وقد أوقف سيارة النقل فى مكان ما بالغابة خلف بيت تشارلى ثم اقترب من البيت مستخدما طريقا ملتويا خلال الأشجار والأحراش لايراه فيه أحد ويستطيع أن يستخدمه من جديد للعودة إلي حيث ترك السيارة .

وتساءل لماذا لم يسرق نقود تشارلى قبل اليوم ولماذا انتظر كل هذا الوقت الطويل ، ومع ذلك فان جانبا آخر من عقله عرف السبب فلكي يسرق نقود تشارلي فان من الضروري ان يقتله فان الطريقة الوحيدة لكى يدخل البيت هى أن يحمل تشارلى على أن يفتح الباب له ولن يستطيع أن يتركه بعد ذلك علي قيد الحياة حتى لا يذكر ما حدث .

وسمع صوت الباب ينصفق وبعد لحظات قلائل سمع صوت محرك السيارة يرتفع ويبتعد فأدرك أن الشريف قد غادر المكان ، ورأى أنه إذا تحرك وأسرع إلى الباب الخلفى فإن فى مقدوره ان يرتكب الجريمة وأن يعود إلى عمله قبل أن يمر الوقت فيُشَكُّ فى امره ، ومرة أخرى أطبقت أصابعه على المسدس فى جيبه ورفع الأخري ليطرق الباب .

وسمع خطوات تشارلى وهو يقترب من الداخل فى بطء وبعد لحظة أطلق

الرجل الباب بعينيه المتناومتين ووجهة المزكوم من خلال الفتحة المزودة بالقضبان الموجودة فى النصف العلوى من الباب وقال :

– هالو إيرل ؟.. ما الخبر ؟..

قال إيرل وهو ينظر الى أسفل نحو الزاوية التى لا يستطيع شارلى رؤيتها :

– طلب منى مخدومى أن أسلمك هذه الرابطة يا مستر تيت .

قال تشارلى :

– ربطة ؟.. ماذا بها ؟.

لا أعرف .. فهى مغلقة .

عاد تشارلى يقول :

– ولكننى لم أطلب شيئا .

قال إيرل :

– أنها كبيرة الحجم بحيث لا يمكن أن تمر من بين القضبان يا مستر تيت فهلا فتحت لى لكى أدفعها الى الداخل ..

حدقت عينا تشارلى فيه لمدة عشر ثوان ثم صدر صوت وانفتح الباب فى بطء ولكنه لم ينفتح الا قليلا ، غير أن هذا القليل كان كافيا ، فقد دفع إيرل مسدسه من جيبه وصوبه نحو تشارلى .

وبدت الدهشة فى ملامح تشارلى ولكن لم يبد عليه أي خوف وقال :

– ماذا تريد أن تفعل يابن ؟.

- اريد نقودك إليّ بها حالا مهما يكن مكانها ارتد تشارلى خطوة الى الوراء فى بطء وقال :

- لا تكن احمق يابن .

قال إيرل :

- عليك أنت أن تلزم جانب العقل إما نقودك واما حياتك يا تشارلى ، فماذا تختار ؟.

- أى بنى .. إننى ..

رفع إيرل يديه بحركة لها معناها وقال فى رفق

إليّ بها .. هل فهمت يا تشارلى ؟.

تردد تشارلى لحظة ثم تحول عنه وتقدم فى ارتباك إلى المائدة التى تتوسط غرفة الطعام وقال فى صوت خافت لاهث يكاد لا يسمع :

- إنها هنا .

وكانت هناك فوق المائدة زجاجة ويسكى ولكن لم يكن فوقها أى كئوس

قال إيرل :

- هنا ؟.. أنصحك ان لا تحاول خداعى يا تشارلى .

قال تشارلى :

- إنها فى التجويف تحت الألواح الوسطى .. ولكن اصغ الى يابن .

ورفع إيرل اللوحين اللذين يتوسطان المائدة وهو يقول :

- صه .. آه ..

كانت هناك علبتان مسطحتان من الصلب داخل التجويف الذى بدا تحت اللوح وقال إيرل :

– افتحهما .

قال تشارلى :

– فى مقدورك أن تغير رأيك وأن تتصرف الآن .. لن أقول لأحد أبدا .

– قلت لك أفتحهما .

تنهد تشارلى فى قوة وأخرج من جيبه مفتاحين صغيرين فتح بهما العلبتين ، كانت بهما ربطات الأوراق المالية من فئة العشرين والخمسين دولارا كل ربطة منها ارتفاعها نحو بوصتين ، وأذهله منظر غنيمته ، ومرت لحظات طوال قبل أن يحول عينيه عنها ثم تذكر ما يجب أن يفعله بعد ذلك فنظر مستفهما إلى الجدار من فوق كتفى تشارلى تيت وقال متسائلا :

– ماذا ؟.. ما الذي تخفيه هناك يا تشارلى ؟.

استدار تشارلى مشدوها لكى يرى ما يشير اليه وهو يقول :

– ماذا تعنى ؟.

ولكنه لم يلبث أن سكت وهو يلهث عندما ضربه إيرل بقبضة المسدس تحت أذنه اليمنى بكل ما أوتى من قوة ووقع على الارض من غير أن يصدر منه أى صوت كما لو خرقة بالية .

انحنى إيرل فوقه ورفع مسدسه مرة أخرى وهوى به ثم دسه فى جيبه . لن يفكر أحد فى أن يضرب تشارلى تيت مرة أخرى .

ونهض واقفا ولكنه لم يلبث أن تهاوى فقد توترت أعصابه فجأة وألمته

معدته ولم يستطع أن يعدل قامته وجر نفسه حتى بلغ المائدة فرفع غطاء زجاجة الويسكى ورفعها إلى شفتيه وهو يرتعش بشدة بحيث إن بعض الخمر انسكب علي المائدة ، وأخذ جرعة كبيرة ردت اليه قواه شيئا ما وأتبعها بجرعة أخرى أكبر قبل أن يعيد الزجاجة مكانها .

وسمع عندئذ صوت سيارة يصطفق ورأى من خلال فتحة النافذة الأمامية هوائى سيارة الشريف فريد ستراتون ، وقبل ذلك بلحظة واحدة كان إيرل مونجر ، يعتقد أنه لن يستطيع أن يتحرك خطوة واحدة ولكن كان رد الفعل سريعا وقبل أن يفكر كان قد أغلق الحقيبتين ووضعهما تحت أبطه ولم تمض خمس ثوان حتى كان قد بلغ الباب الخلفى وأغلقه دون أن يصدر منه أى صوت وفى أقل من عشر دقائق كان قد عاد خلال الطريق الملتوية إلى سيارة النقل وهو يغالب رغبة ملحة فى الفرار .

وكان قد ترك السيارة فوق منحدر على أهبة الانطلاق فجلس امام عجلة القيادة وانطلق فى بطء فى بادئ الأمر ثم لم يلبث أن زاد من سرعته .

وبعد نصف ميل انعطف الى طريق جانبى غير ممهد يؤدى الى بحيرة عميقة فتوقف هناك ووضع المسدس والنقود فى كيس نصف مملوء بالعلف ثم غطاها بطبقة من العلف حتى لا يظهر منها شئ ثم ألقى بالعلبتين فى وسط البحيرة بكل قواه .

ووضع الكيس تحت أكياس من العلف والسماد وبدأ رحلة العودة الى المحل ، ستبقى النقود فى سيارة النقل ، طالما شاء أن يتركها ، فى أمان طبعا ولكنه لم يشاء أن يجازف ، وقرر أن يدفنها فى مكان ما ويتركها حتى اليوم الذى يتشاجر فيه مع مخدومه فيترك العمل ويهجر المكان الى الابد

من غير ان يثير الشبهات حوله ، وأوقف السيارة أمام المحل ، وخرج بورت هورنباك منه وأسرع إليه وقال يخاطبه فى ضيق .

– رأيتك تزود السيارة من محل جارنى صباح اليوم .

قال إيرل :

– هذا صحيح .

– كيف حدث هذا .. إنك تعرف أن جارنى لا يشترى منى أى شئ .

– حقا .

– آه يبتاع كل لوازمه من محل اورتمان فخذ ما تحتاج اليه من بنزين بعد ذلك من محل كوبر كما قلت لك ، أن كوبر يبتاع كل ما أريد ، هل فهمت ؟.

قال إيرل :

– ولكن العجلات كانت بحاجة الى هواء وليس لدي كوبر جهاز نفخ .

– لا أهمية لجهاز النفخ خذ البنزين بعد اليوم من كوبر الى متى أقول ذلك ؟

قال إيرل يحدث نفسه :

– ليس إلى وقت طويل .

ودخل دورة المياه ليرش وجهه بالماء البارد ..

بعد أسبوعين او ثلاثة او بعد شهر على الاكثر سيشترى البنزين لسيارته الخاصة ممن يريد ..

وبدأ الويسكي يفعل مفعوله في معدته .. ولكنه سيكون على ما يرام لان المال يتغلب على كل شئ .. هذه هي سنة الحياة .

وعندما خرج من دورة المياه كانت عربة الشريف ستراتون واقفة امام المحل وكان الشريف يتحدث مع بضعة رجال .. كان جالسا في المقعد الذي يتركه هورنباك أمام المحل وقد حشر جسمه الضخم فيه حشرا ..

قال إيرل يحدث نفسه :

– إنه لا يقف أبدا إذا استطاع الجلوس ، إنه أكسل رجل في المدينة إن لم يكن في الولايات كلها ، اذا كان موجودا على رصيف وأراد ان ينتقل الى الرصيف المقابل فإنه يثب الى سيارته ويدور بها ثم يمضى الى الرصيف المقابل بدلا من أن يمشى اربعين خطوة .

وكان جورج ويل البقال قد غادر محله وانضم إلى الجماعة فسأله إيرل..

– ما الخبر ؟.

أجابه جورج :

– إنه ذلك العجوز تشارلي تيت .. إنه تناول سما .

سأله إيرل :

– ماذا ؟.

قال جورج :

– تناول سما .. انتحر .

نظر الشريف الى إيرل وهز رأسه قائلا :

– كيف حالك يا إيرل ؟.. إنه انتحر .. والله وحده يعلم لأى سبب .

وكان الانزعاج والقلق يبدوان على وجه الشريف المتورد وقد وضع يديه الرقيقتين على ركبتيه .

سأله إيرل :

– تناول .. سما ؟.

قال توم هايتواير اللبان :

– طالما قلت إنه مجنون وقد صح ظنى الآن .

كانت هناك عشرات من الأسئلة يريد إيرل أن يلقيها ولكنه لم يستطع أن يلقى منها سؤالا واحدا .

فبلل شفتيه وانتظر .

أخرج الشريف مظروفا عاجى اللون نظر إليه ثم هز رأسه متعجبا وأعاده إلى جيبه ثانية وقال :

– أعطانى تشارلى هذا قبل أن ينتحر بنصف ساعة وطلب منى أن لا أفضه إلا بعد العشاء ولكنه طلب منى ذلك بطريقة غريبة أثارت دهشتى وقلقى ، فقد حاول أن يبدو الأمر كما لو أنه دبر مزاحا يريد ان يداعب به أحدا، ولكننى شعرت بأن هناك شيئا فما أن بلغت آخر الطريق حتى توقفت وقرأته .

قال جو كيرك صاحب الحانة :

– هل قال فى خطابه إنه انتحر ؟.

اجاب الشريف :

- هو ذلك .

وسأله فرانك دورن الحلاق :

- وهل ذكر السبب ؟..

أجابه ستراتون :

- كلا لم يزد عن أنه سينتحر .

ودس يده فى جيب بنطلونه وأخرج علبة بحجم علبة السجائر وقال :

- وهذا شئ آخر لا أستطيع أن أفهمه .

سأله سام كولينز صاحب محل المفروشات :

- ما هذا ؟

أجابه الشريف وهو يعيد العلبة الى جيبه :

ثالث أوكسيد الزرنيخ .. وجدتها على الأرض تحت المائدة .

سأله سام كولينز :

- وفيما يستخدم ؟.

قال ستراتون :

- فى القضاء على الفئران .. إنه سم شديد المفعول .. زرنيخ وأظن أن هذه أفظع ميتة عرفها إنسان .. إنه يتعذب كثيرا قبل أن يلفظ روحه ..

سأله جيم ريرسون صاحب الجاراج :

– ولماذا أراد أن يتناول شيئا كهذا ؟.

قال توم هايتواير :

– طالما قلت إنه مجنون .. وقد صح قولى .

نهض الشريف متثاقلا وهو ينظر الى المقعد فى أسف كما لو كان لا يريد ان يغادره وقال :

– حسنا، أظن ان ليس لتشارلى تيت أى قريب على قيد الحياة ولابد لى أن أقوم بكل شئ بنفسى .

قال توم مارتن الصيدلى :

– إننى وضعت الزنيخ مرة للفئران ، ولن أفعل هذا مرة أخرى بعد أن رأيت ماذا فعل بها .. لن أفعل هذا ابدا فحتى الفئران لا تستحق ان تموت هذه الميتة الفظيعة .

قال الشريف :

– كما سبق إن قلت لا أدرى لماذا انتحر تشارلى العجوز هكذا

قال توم مارتن :

– لعله لم يكن يعرف تأثير السم عليه .

قال الشريف :

– هذا جائز ، إنى لا أفهم كيف سولت له نفسه أن يضع نصف علبة السم فى زجاجة الويسكى إن تلك الزجاجة من السم ما يكفى لقتل كل الموجودين هنا وكثيرين غيرهم .

ومضى في بطء وحرص كبير نحو سيارته كما لو أنه يريد أن يقطع الطريق بأقل الخطوات الممكنة وقال :

– وما زال لدى عمل كثير ، فليس لتشارلى أقارب ، وأري انه لابد ان أقوم بكل شئ .

حاول إيرل مونجر أن يتغلب على الرعب الذى بدا يحتمل فى صدره ،لا عجب إذن اذا كان الشريف يلقى نظرة على تشارلى تيت وهو ملقى على الأرض وإذا كان قد خطر له أنه مات بتأثير السم .. ولماذا يبحث عن جرح او عن شئ آخر ؟ وتساءل كم سيمر من الوقت قبل أن يأتى سم الفأر بمفعوله ويفعل به ما فعل فى تشارلى تيت ، إنه بدأ يحدث تأثيره وسوف يشعر بحشرجة الموت فى أية لحظة .

وأرغم نفسه على أن يمضى إلي سيارته فى هدوء ، وعلى الرغم من أن باب السيارة بدا له أثقل أكثر من اللازم فقد تمكن من فتحه وجلس أمام عجلة القيادة وانطلق فى بطء .

وما أن بلغ الطريق العام المؤدى الي بلفيل حتى أطلق العنان لسيارته فقد كان لابد من أن يمضى الى طبيب ، ولم يكن بهذا المكان المهجور غير أطباء قلائل كل منهم يبعد عن الآخر ببضعة أميال ، ولكن أقربهم هو الدكتور ويتاكر ويقيم على بعد أربعة أميال ، وهو رجل سكير ولكنه قدير ، وعلى الأقل عندما يكون غير مخمور .

ولكنه عندما بلغ مسكن ويتاكر أخبرته مسز ويتاكر بأن زوجها غير موجود وأنه خرج لعيادة بعض المرضى فأسرع إلى سيارته ركضا ووثب اليها وانطلق لا يلوى على شئ ومسز ويتاكر تنظر اليه فى استغراب .

وكان أقرب طبيب بعده هو كورتنى هامبتون ويقيم على بعد ستة أميال من بلفيل ، وكان قد بدأ يشعر الآن بالآلام فى معدته ولم تكن آلاما مبرحة ولكنها أخذت تزداد حدة وقوة من دقيقة لأخرى ، كان ذلك تأثير الزرنيخ الذي يوشك أن يقتله ..

ورأى أمامه ضوءا أحمر فجأة .. وقطعت عليه إشارة المرور الطريق فداس بقدمه على الفرامل فى قوة وأطبق عينيه لحظة متوقعا الصدام الذى كان واثقا أنه سيقع ، وصرخت الفرامل والعجلات حوله ولكن لم يقع صدام وانطلق من جديد .

وبعد ثماني عشرة دقيقة جلس إيرل مونجر فى عيادة الدكتور هامبتون وفى معدته أنبوبة من الكاوتشوك فى حين كان الطبيب يعد الحقنة لم يلبث أن حقنه بها فى اعلا ذراعه وهو يقول فى طرب :

– إذن فقد وضعت طعامك فوق سم الفئران ثم اكلته دون أن تفطن الى ذلك ..

ونظر الى إيرل كما لو كان يتوقع منه أمرا مع أنه يعرف أن الأنبوبة تمنعه عن الكلام .. واستطرد يقول ولكنك لا تستطيع أن تتكلم طبعا .. وهذا أسوأ شئ فى الزرنيخ فليست له رائحة تميزه وليس له طعم وهو لهذا السبب السم المفضل فى كل العصور ..

سأله إيرل عندما رفع الأنبوبة :

– هل تريد ان أعود ثانية يا دكتور ؟..

– كلا إلا اذا شعرت بالألم من جديد ، عشرة دولارات من فضلك .

وفي طريق العودة أحس إيرل مونجر بمنتهى الابتهاج وهو شعور لم يشعر به قبل ذلك في حياته قط ..كان شعورا غريبا شعورا لم يستطع ان يصدقه في البداية ولكنه كان يزداد قوة مع كل ميل يقطعه وطغت عليه سعادة لم يعرفها إلا وهو طفل عندما كانت الأمور والناس تبدو كما هو وليس كما عرفهم حقا فيما بعد .

وانعطف مع المنحنى الكبير المؤدي الى محل العلف في سرعة فائقة ، وانطلقت به سيارة النقل في خفة كما لو كانت عربة مكشوفة ذات مقعدين وطابت له الحياة .

وأحس بالرغبة في الغناء وراح يغني بالفعل وخيل له أن به مسا وأنه ثمل ولكنه راح يغني بأعلى صوته ، وكان لا يزال يغني عندما أوقف السيارة امام محل العلف وغادرها .

ورأى أن يمضي إلى مسكنه وكان يبعد بنحو ميلين واحس برغبته في السير وهي رغبة لم يشعر بمثلها منذ وقت طويل .

وراح يغني مرة أخرى وهو يمشي وفي بطء ويحس بسعادة لم يشعر بها من قبل واستمر يغني حتى بلغ مسكنه ، وارتقى الدرج الى الطابق الثاني وهو يغني في مسكنه ، وارتقى الدرج الى الطابق الثاني وهو يغني في صوت معتدل وفتح الباب .

كان الشريف فريد ستراتون جالسا في المقعد الوحيد بالغرفة ووجهه المتورد جامد التعبير وقد وضع يديه الصغيرتين في حجرة في هدوء ..

حدق إيرل فيه لحظة ثم أغلق الباب وجلس على حافة الفراش وقال :

– ماذا تفعل هنا أيها الشريف ؟.

أجابه ستراتون :

– كنت أنتظرك أنا ومساعدى فى المخل .

– لم أر أحدا ولماذا كنتما تنتظرانى ؟.

– لم نشأ أن ترانا .. إننا وجدنا المال بسهولة يا إيرل .. وعثرنا على المسدس كذلك .

قال إيرل :

– المال ؟.. أى مال ؟.. إننى لا أعرف شيئا عن المال .. أو عن المسدس الذى تتكلم عنه .

دس ستراتون يده فى جيب جاكتته وأخرج منه مظروفا عاجىّ اللون وقال

– رسالة من ابنتى الصغيرة تخبرنى فيها باننى سأصبح جدا للمرة الثانية ..

قال إيرل :

– ولكنها نفس الرسالة التى قلت لنا ان تشارلى تيت أعطاها لك قبل ان ..

وأمسك فقال ستراتون وهو يعيد المظروف الى جيبه وأخرج العلبة الصغيرة :

– هذا صحيح وقلت كذلك إن بهذه العلبة سما للفئران إن بها أقراصا طبية ..

أحس إيرل بريقه يجف وقال :

- أقراص طبية ..

- نعم لو أن تشارلى تيت أراد أن ينتحر بالسم فانه ما كان ليضعه فى زجاجة الويسكى فهو لم يتناول قطرة من الشراب فى حياته ، إن تلك الزجاجة التى كانت فوق المائدة زجاجتى أنا ، وتشارلى تيت يحتفظ دائما بزجاجة من الويسكى لانه يعرف أنه يطيب لى ان اتناول جرعة من وقت لآخر .

ونظر ستراتون إلى العلبة الصغيرة وقال :

- هذه العلبة سقطت منى فى مسكن تشارلى عندما كنت هناك لاول مرة فعدت لكى أستردها وعندما رأيت ما حدث وأدركت ان تشارلى فتح بابه الخلفى لشخص ما عرفت أن القاتل رجل يعرفه جيدا لأنه لولا ذلك ما سمح له أن يدخل أبدا .

قال إيرل :

- ولكن لماذا .. لماذا فعلت ذلك ؟.

- لماذا قلت ما قلت عن الرسالة والأقراص الطبية .

حسنا انها فكرة طرأت لى عندما رأيت أن القاتل شرب من الويسكى وكنت قد تناولت جرعة منه أنا نفسى عندما كنت هناك أول مرة ورأيت أن بعضهم تناول منها قدر بوصتين بعد ذلك وأن بعض القطرات انسكبت فوق المائدة وأدركت أن القاتل فقد أعصابه بعد أن قتل تشارلى وتناول جرعتين لكى يشد من أزره ..

وأمسك ستراتون وراح ينظر إلى ايرل بعينين جامدتى التعبير ، وانتظر

إيرل حتى أعجزه الانتظار فقال أخيرا :

– وبعد ؟.

اجاب ستراتون :

– حسنا هناك شئ واحد مؤكد فى هذه الدنيا ، وهو أن الرجل إذا اعتقد أنه تسمم فسيسرع الى الطبيب فورا ، ولما كان هناك أربعة أطباء فى هذه المنطقة فقد كان كل ما على هو أن أتصل بهم وأن أطلب منهم ان يخطرونى بمن يقصد إليهم .

قال إيرل :

– ولكننى أحسست بالأعراض .. شعرت بالألم و ..

قال ستراتون :

– يحدث ذلك فى بعض الاحيان إذا اعتقد رجل بأنه تسمم ، وقد اعتقدت أنك تسممت حقا ، ولهذا بدت عليك الاعراض .

ونهض واقفا ووضع قبعته البيضاء فوق رأسه فى حرص ثم مضى نحو الباب قائلا :

– حسنا يا إيرل .. أظن ان من الأوفق ان تأتى معى الى السجن ..

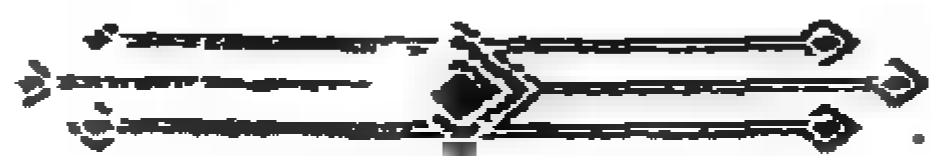
قال إيرل فى مرارة :

– هذا فخ .. فخ حقير ودنئ .. هل تظن نفسك ذكيا ؟..

نظر ستراتون اليه مشدوها وقال :

– أبدا بل إننى أعرف أنني شديد الكسل ، وقد رأيت فرصة فى أن يقوم

ضميرك الآثم بالعمل بدلا منى فأقدمت عليها وهذه شيمتنا نحن الكسالى يابنى .. اذا بدت لنا الفرصة فى تجنيب أنفسنا مشقة العمل انتهزناها على الفور ..



كيف تقلع عن التدخين

من يعلم اضرار التدخين أكثر من زوجة محبة وفية خاصة اذا كانت هى نفسها لا تدخن وتكره نكهة السيجار .

طقطق السيلوفان بصورة ملفتة عندما نزع ليويركبرج غلاف السيجار وفتح الدرج العلوي لمكتبه حتى مس بطنه وعثر على المقراض الفضى الذى أهدته له سويللا بمناسبة عيد ميلاده ولم يكن يستعمل المقراض بعد ذلك الا وفكر فى سويللا كما كانت عندئذ متوردة الخدين طويلة الشعر لا يفتر ثغرها الا بكل ما هو رقيق وجميل ، ولم تبد أى اعتراض فى ذلك الوقت وقالت ان السيجار من أخص خصائص الرجال .

وقطع طرف السيجار وهو يفكر فى سويللا كما أصبحت الآن ، شاجبة الخدين لاذعة اللسان كل كلامها يقطر بالمرارة وبخيبة الأمل التي صادفتها فى حياتها ، ولم تعد سجائره الآن من خصائص الرجال بل أصبحت شيئا مبتذلا سوقيا وقذارة متناهية وإهانة للعلم عموما ولها خصوصا ، كانت تشم رائحة السيجار فى الستائر وفى السجاد وفى ثيابها وشعرها ولكى تهول فى تأثيرها عليها كانت تتظاهر بالاغماء وتصرخ مدعية بأنها بحاجة الى

إخصائي في مرض القلب ولكنها كانت تهدده أحيانا بأنها ستهجره في المرة التالية حتى لا يفعل ذلك أبدا ، وأخيرا وجدت سلاحا جديد يتمثل في النصائح التي يزودها بها اكسيلورد ، طبيب العائلة فراحت تتقرب اليه وتقول له :

" ان التدخين سيودي بك ياليو ، هكذا يقول الطبيب ".

اشعل ليو السيجار وهو يتذمر وأخذ نفسه طويلا ، ونظر الي السيجار الطويل وقد عبست أساريره .. ياله من أحمق .. إن سويللا على حق بالطبع ولعله يجد عند اكسيلورد العلاج الناجع الذى يساعد علي الإقلاع عن التدخين فإنه يملأ رئتيه وصدره بالدخان منذ سبعة وثلاثين عاما ، وبدا أولا بالسيجار الرخيص وانتقل منه الى الاحسن فالأحسن كلما تحسنت أحواله المالية ولم يكن ذلك لانه أصبح مدمنا فانه يستطيع الاقلاع عنه بالطبع ولكن ذلك لم يكن يوافقه وهذا كل ما فى الأمر ، ولكن هناك وقت لكل شئ ، وفيما هو ينظر الى الصورة التى التقطت له فى سنة ١٩٣١ والمعلقة لصق الحائط بمكتبه رأى أن عددا قليلا ممن معه فى هذه الصورة مازالو على قيد الحياة وتساءل اذا لم يكن الوقت قد حان للإقلاع عن هذه العادة الذميمة ، ونظر الى الرماد المتوهج مشمئزا ولكنه ظل مع ذلك بالسيجار فى يده ..

وتذكر المرض بعد الظهر ذلك اليوم عندما اتصل به فديد هاندل وكيل شركة التأمين ليذكره بالقسط المتأخر ، وكان ثقيلا فى مزاحه لأنه قال له ضاحكا :

– من يدرى لعل دورك يأتى ؟.. واضطرب عندئذ وسحق السيجار بقدميه ولكنه بعد خمس دقائق كان يدخن سيجارا آخر ..

وحدث سويللا بذلك فى تلك الليلة ولكنها لم تظهر عطفا بل قالت إن فريد على حق وإن أقل ما يمكن أن يفعله هو أن يفكر فيها هى فانه باستمراره فى التدخين انما يعجل بالانهاء على حياته .

وقال فى غلظة :

– ما هذا الذى تقولين ؟.

وأطفأ السيجار محنقا واستطرد :

– أعتقد أنك تتمنين ان أموت في بعض الأحيان ، ولعلك تفكرين فى الثمانين الف دولار اكثر مما تفكرين فىّ أنا بالذات .

– لا تتكلم كالأطفال إنك تكاد تكون فى الستين ويجب أن تعرف مافيه خيرك .

– إننى فى السادسة والخمسين فلا تتعجلى نهايتى .

– اننى لا أتعجل نهايتك .

وأشارت الى السيجارالذى بين شفتيه واستطردت :

– وإنما هذه اللفائف هى التى تعجل بنهايتك فلا تلمنى ..

تمتم ليو :

– وهل يهمك امرى الى هذا الحد ؟.

وفتح جريدة المساء كما لو كان يصفق احد الأبواب وسواء كان أمره يهم سويللا او لا يهمها فان هذا الخاطر لم يكن جديدا عليه وإنما كان نتيجة محزنة لزواج عقيم ومضجر . ولكن حدث بعد أسبوع ماجعله يتساءل اذا لم

تكن سويللا أكثر تعقيدا مما كان يعتقد فقد كان جالسا فى غرفة المعيشة يعالج مفاتيح التليفزيون لاصلاح الشاشة .

اذ كانت الصورة تمتد وتطول فى غير تناسق وكانت سويللا فى المطبخ تقوم بإعداد قهوة الساعة التاسعة كالمعتاد ، وتخلى عن عمله وهو يتنهد وأطفأ النور ثم نهض وسار والجورب فى قدميه الى المطبخ واقترب من الباب من غير أن يصدر منه أى صوت ، وكانت سويللا منحنية فوق فنجان القهوة ، على المنضدة .. منحنية فوقهما تقوم بعمل ما .

ولاشك أن غريزة وقائية حملته على الوقوف والمراقبة ودارت العملية أمامه بصورة سريعة لم تأخذ اكثر من خمس دقائق ولكنها كانت من الغرابة بحيث أثارت انتباهه .

فقد وضعت شيئا فى أحد الفنجانين ، ولم يكن هذا الشئ قشدة أو سكرا لأن احداً منهما لا يتناولهما .

وعاد من حيث أتى مسرعا وجلس أمام التليفزيون وأدار المفتاح وهو مذهول ، وظهرت الصورة عادية وواضحة ولكنه لم يعد مهتما بالبرنامج..

وقالت سويللا بنفس اللهجة التى تتكلم بها كل ليلة :

– هاهى قهوتك .. هل هناك شئ مهم ؟

أجاب فى إعياء :

– نفس البرنامج ثلاثة من أفلام البقر وحفلة منوعات .

وراقبها وهى تضع الفنجانين على المنضدة بجوار مقعده ثم قال :

– لا أظن أنني سأشرب قهوة الليلة .

نظرت اليه في حدد وقالت :

- ولم لا ؟.. أنك تشرب القهوة كل ليلة .

- حسنا إنني لا أشعر بأي ميل اليها الليلة .

- هل تؤلمك معدتك ثانية ؟.

- لماذا تقولين ثانية ؟.. انها لم تؤلمنى ابدا .

- إننى أراهن أن معدتك ليست على ما يرام بسبب هذه اللفائف التي تدخنها .. اشرب قهوتك... ستشعر بأنك أحسن عندما تحس بالدفء فى معدتك .

قال ليو بوكبرج :

- لا اريد القهوة ، ألا تفهمين ؟.. لا أريدها ..

هزت كتفيها ورفعت الفنجان من أمامه وعادت به الى المطبخ والقت بالقهوة في الحوض .

وراح ليو يفكر فى هذا الأمر ، كان يشتغل وظيفة مدير مساعد فى شركة شحن ، وكانت وظيفة شرفية اكثر منها عملية ، فكان لديه من الوقت ما يسمح له بالتفكير والاستغراق فى التأمل ، لم يكن واثقا ولعله اخطأ ولعل سويللا لم تفعل شيئا على الاطلاق .

ولكنه فى هذه الليلة سار على أطراف أصابعه حتى المطبخ وكانت منهمكة فى اعداد القهوة وفجأة دست يدها فى جيب مئزرتها وأخرجتها بقرص أبيض وضعته فى أحد الفنجانين فراح يفور فى خفة وارتفع إلى السطح ثم اختفى فى القاع .

كان هذا هو الجزء الهام ، وراقبها ليو وهى تفعل ذلك فى اهتمام ، ثم مدت يدها اليمنى وأخذت الفنجان الذى وضعت القرص فيه .

وعاد إلى غرفة المعيشة ركضا .

وقالت سويللا فى هدوء :

– ها هى قهوتك تذكر أنك قلت انك تريد قهوة الليلة ، ولهذا فإننى أتوقع أن تشربها .

قال :

– طبعا .. سأشربها طبعا ..

قالت سويللا وهى تضع فى بطء وحرص الفنجان الذى تمسكه بيدها اليمنى أمامه :

– إليك هى اذن .

ولحسن الحظ لم تلحظ العرق الذى تفصد به جبينه وصلعته ، ونهض واقفا على الفور وهو يقول إنه يريد سيجارا وأخذ لفافة من الصندوق الذى فى درج المكتب وفيما هو يعود إلى مقعده تعثرت قدمه اليسرى بصورة خرقاء وأوقع المنضدة التى عليها الفنجان ، وحاول أن يمسك بها قبل أن تقع ولكنه لم يستطع ، ولم يتحطم الفنجان فقد كان من البلاستيك ، ولكن القهوة أنسكبت على السجادة .

وأطلقت سويللا سبة تلومه على عدم حرصه ولكن ليو لم يكن مصغيا إليها وعندما عرضت عليه أن تعد له فنجانا آخر قال :

– كلا لا أظن اننى بحاجة الى القهوة بعد ذلك ، لعلنى أصبحت شديد

العصبية فى الأيام الأخيرة ولا ريب أنه يجب أن أقلع عنها ..

قالت سويللا :

- هاها ..

ولبث مستيقظا هذه الليلة يصغى إلى صوت زوجته وهى تتنفس فى هدوء منعه الخوف من النوم فى البداية ولكن لم يلبث أن تحول الخوف إلى سخط وغضب بأى حق تفكر سويللا فى قتله ؟.. حسنا .. انه لم يوف بوعده لها حين قال لها انه سيوفر لها حياة كلها بذخ وترف ولهذا السبب ازداد غلظة وخشونة وبذاءة فى الأعوام الأخيرة من زواجهما ، ولعل تدخينه المستمر للسيجار كان رمزا للعداء الذى يشعر به نحوها ، ولكن هل يعطيها كل هذا الحق فى أن تضع قرصاً أبيض فى قهوته ؟ .. وكلما فكر فى الموضوع ازداد غضبه واستقر رأيه .

وفى اليوم التالى كان ذهنه لا يزال مشحونا بالأفكار عما ينوى أن يقوم به الليلة .

وفى المساء دبر أمره بحرص كبير .. جهاز التليفزيون والشبشب والسيجار والمظهر البرئ .

وعندما أسرعت سويللا بالنهوض فى الساعة الثامنة والخامسة والأربعين لكى تعد له القهوة تحول إليها وقال :

- وأين هذه القهوة ؟.. يقينا إنني أريد أن أشرب فنجانا الليلة .

- ظننت أنك ستقلع عنها .

- ربما أقلع عنها فيما بعد ،ولكن ليس الليلة بالتأكيد ، وفى الساعة

التاسعة الا خمس دقائق كان الماء قد بدأ يغلى فأسرعت سويللا إلى المطبخ و بعد عشر ثوان تبعها ليو على أطراف قدميه .

أخذت البراد من فوق النار ومضت إلى حيث الفنجانين وملأت أحدهما ثم الآخر . وأعادت البراد فوق الموقد من جديد ثم دست يدها في جيب مئزرتها ، واندفع ليو بوكبرج إليها عندئذ وهو يقول :

– آه .. ماذا تفعلين ؟..

صرخت سويللا ووضعت يدها على قلبها قائلة :

– ليو ماهذا ؟.. إنك أخفتني .

قال ساخرا وهو يدنو منها :

– حقا ؟.. ولكن ليس هذا بالعمل الجميل يا سويللا .

– ماذا تعنى ؟.. ماذا تقصد ؟:

ومضت عيناه وقال :

– سأقول لك ماذا أقصد .. ما هذا ؟..

وامتدت يده إلى جيب مئزرتها قبل أن تتوقع منه ذلك فراحت تناضل ولكن غضبه كان أقوى من نضالها فخرجت يده الغليظة بالقرص الصغير الأبيض بين إبهامه وسبابته .

قال في صوت متهدج :

– هذا هو ما أقصده ، وكنت أراقبك يا سويللا ، وكنت أعرف ماذا تفعلين ؟.. ولكنك لن تفلتى من العقاب ، هل تسمعين ؟..

- ولكن يا ليو ..

- لا تحسبى أننى غبى ، أعرف أنك تهتمين بوثيقة التأمين أكثر مني ولكن هذه آخر مرة أترك لك الفرصة فيها لكى تقتلينى .

- أقتلك ؟..

ونظرت إليه وقد اتسعت عيناها ثم إلى القرص الذى فى يده وعادت تقول :

- أقتلك ؟.. ولكننى أحاول مساعدتك ..

نظر إليها مشدوها وقال :

- مساعدتى !!..

قالت فى صوت خافت :

- نعم مساعدتك انك تعرف رأى الدكتور اكسيلورد ، عن تدخينك انها مادة كيماوية تجعل طعم الدخان كريها .. والمفروض أنها كانت ستحملك على الامتناع عن التدخين .

نظر ليو إلى القرص فى غباء ، وعادت سويللا تقول وعيناها مغرورقتان بالدموع :

- نصحنى الدكتور اكسيلورد بأن أذيبها فى قهوتك وقال إنك لن تفطن إليها أبدا وإنك لن تلبث ان تفقد اهتمامك بالتدخين .

جر ليو مقعدا وجلس فوقه وتمتم :

- اذن فالأمر كذلك .. فى حين اننى ظننت ..

قالت سويللا فى اكتئاب :

- أوه ياليو .. اننى كنت أحاول مساعدتك حفاظا على صحتك ..

أسرع إليها وأخذ يدها وقال :

- اننى آسف يا سويللا كان غباء مني أن فكرت فيما فكرت فيه ..

اننى أعرف انك تريدين بى خيرا .

ورفع عينيه وفى وجهه اصرار شديد وقال :

- وانك كنت على حق .. يا الهى .. لن أكون عبدا لهذا السيجار اللعين.



الزوجة التى هربت

كان بيتا صغيرا مشيدا من القرميد .. خلف حديقة صغيرة على كل من جانبها شجرة ضخمة من أشجار العرعر ، وامامه طرقة تمتد من الشارع حتى الجاراج الملحق به ، يحدها من كل جانب سياج من الاغصان الشائكة امتدت اليها يد التهذيب ، وفى الحديقة الصغيرة بين الطريق الممهد للسيارة على اليمين ، والممر المرصوف على اليسار تقوم شجرة سفندان ضخمة تحجب أوراقها السميكة بستان الخضر عن شمس الصباح..

وتقدم الملازم جوزيف ماركوس وارتقى الدرجتين الأماميتين للبيت ، يتبعه الرقيب فوللر ، وضغط الملازم على جرس الباب فانبعث رنينه فى الداخل ، وما هى إلا لحظة قصيرة حتى انفتح الباب وظهر رجل نحيف يبلغ طول قامته نحو مائة وثمانين سنتيمترا ، له وجه شاحب وشفتان غليظتان تحت شارب كث ، وصوت خفيض رنان مما حدا ماركوس الى الظن بأنه امام طفرة من طفرات الوراثة لأن الصوت لم يكن يتناسب ابدا مع جسم صاحبه وأفسح الطريق وهو يقول له اسمى ثورستون ويللر ، أظن انكما من قوة البوليس .

أجابه ماركوس :

– أنا الملازم ماركوس ، وهذا هو الرقيب فوللر .

– كنا فى انتظاركما أيها السيدان ، تفضلا وتقدمهما الى صالون أفضى بهم الي غرفة الطعام ومنها الى المطبخ وكان به باب آخر أشار الرجل الى ماركوس أن يمضى اليه ، وأطاعه هذا الأخير ومن خلفه فوللر ، وهبطا سلما وعرا يكاد يكون مستقيما يؤدى الى القبو ، وفى اسفل السلم كان هناك رجل راح ينظر إليهما وهما يهبطان .. كان قصير القامة بدين الجسم يضع على عينيه نظارة كبيرة تبرق عيناه تحتها فى خوف وهلع كما لو كان يتوقع أن تزل قدماهما ما بين لحظة وأخري ويهويان ويدق عنقاهما ، كما حدث للمرأة الممددة عند قدميه ، فوق الاسفلت ، وكانت رأسها ناحية السلم ، الأمر الذى حمل ماركوس الى الافتراض بأنها وقعت ورأسها الى الامام وراحت تتدحرج فوق السلم وتدور حول نفسها رغما عنها حتى استقرت على ارضية القبو .

وكانت ترتدى قميصا من القطن انزاح قليلا وكشف عن ثوب أزرق فاتح كشف بدوره عن ساق التوت بطريقة عجيبة وجزء من الفخذ عند سمانة الساق ، ولحظ ماركوس انها فقدت أثناء السقوط فردة شبشب .. من ذلك النوع الذى لا يتكون الا من نعل وكعب على الطريقة الفرنسية وبمقدمته قطعة من القماش لادخال أصابع القدم فيها دون أى شئ آخر فى مؤخرته وكانت أمه تلبس مثل هذا الشبشب دائما وهى تتحرك داخل البيت ، ولاريب أن المرأة التوت قدمها وهى تهبط ولم تستطع الاحتفاظ بتوازنها فهوت ووقعت على الأسفلت ، وكانت الفردة الثانية موجودة على الأرض ، على بعد

كان الرجل البدين القصير ذو النظارة السميكة هو الدكتورأروين هارشفيلد .. وكان ثور تون ويللر قد استدعاه على عجل قبل ذلك بساعة .. وقد اتصلت به سكرتيرته من عيادته بالمستشفى حيث كان يقوم بجولته العادية بين المرضى ، وقد جاء باسرع ما يستطيع ولكن مسز ويللر المسكينة كانت ميتة عند قدميه ، بل إنها كانت قد ماتت قبل ذلك بوقت طويل ، ولكن كان من المستحيل أن يحدد وقت الوفاة بالتدقيق على الاقل وكذلك كان من المستحيل ان يقول ما الذى قتلها بالتحديد ، ولكن لابد من إجراء التشريح بالطبع ، غير أن فى مقدوره فى انتظار ذلك أن يقل أنها ماتت نتيجة لخبطة أصابتها فى رأسها ما لم يكن عنقها قد دق نظرا إلى أنها تدحرجت فوق السلم، قال :

– عندما تأكدت انى لا أستطيع أن أفعل شيئا رأيت ان من الخطر ان أنقلها من مكانها ، وهى الآن فى نفس الوضع الذى وجدتها فيه عند قدومى .

– حسنا لاشك أنك تفهم ان هناك أجراءات ضرورية لابد منها كما هى العادة دائما عند وقوع الموت نتيجة لحادث ما ؟.

وجثا ماركوس بجوار الجثة وقام ببضعة إجراءات ولكن لم يكن بمقدوره أن يفعل الكثير فان مسز ويللر المسكينة ، كما دعاها الطبيب كانت قد ماتت ، كان بأعلى جبينها ، بجوار الشعر ، جرح بشع المنظر سال منه الدم .. ودس ماركوس اصابعه خلف عنقها ، وأحس بموضع لين ، فى المكان الذى ارتطمت فيه رأسها بالارض المسلحة ، وكان لرأسها وضع

غريب ، فقد استجاب ليده كما لو أن عظمة انكسرت ، ولكن لعلها لم تنكسر مهما يكن فسوف يعرف ذلك برفق ، لم تكن بالسمراء ولا الشقراء ولا بالصهباء ، قد كان شعرها من ذلك النوع الذى يستجيب لكل صبغة ولكن وجهها مستديرا شاحبا اكسبه الموت صفرة فوق صفرته العادية .. مسكينة مسز ويللر !..

قال ماركوس وهو ينهض :

– ان هذا خطر .. بل شديد الخطورة ..

انبعث وميض خلف نظارة الدكتور هارشفيلد وهو يدير رأسه اليه ، كانت عيناه الشبيهتان بعينى الخنزير تبدوان متوحشتين تقريبا ، الامر الذى جعل منظره يبدو مضحكا وقال يسأل :

– ماذا ؟.. ما هو الشئ الشديد الخطورة ؟.

– شبشب .

وأشار ماركوس بيده الى الفردة التى فوق الاسفلت وقال :

– من الصعب الاحتفاظ به فوق القدم ، فهو ينزلق ويفلت من القدم فجأة

قال الدكتور هارشفيلد وهو ينظر الى الشبشب فى حيرة :

– أوه ، هل تظن أن قدمها زلت بها ؟..

– هذا ممكن ، بل إنه محتمل الا توافقنى على ذلك يا دكتور ؟..

– الحق اننى كنت أعتقد أن ذلك قد حدث بطريقة أخرى .

– حقا ؟.. وما هى ؟.

– أنا طبيب الأسرة ، وكانت مسز ويللر تعانى من ارتفاع فى الضغط وكانت عرضة للدوار فى أوقات كثيرة .

– أنني أفهم ما تعنيه ، ولكن هذا المكان ليس بالذى يحدث فيه مثل هذا الدوار ، أعنى ان المرء لا يشعر بالدوار وهو يهبط سلما كهذا ، إنه سلم غير مريح ويكاد يكون مستقيما ودرجاته ضيقة وزلقة جدا ، وقد ارتطمت باحدى هذه الدرجات وأصيبت بذلك لا جرح فى رأسها ، وأنني أتساءل لماذا ؟..

وكان الدكتور هارشفيلد ، يحاول ان يتابع مجرى أفكاره هو بالذات ، فنظر اليه فى شرود وقال :

– ماذا تعنى ؟..

– اعني لماذا هبطت السلم .

– لاريب انها ارادات ان تأخذ شيئا من القبو ، ومهما يكن فانه يحدث أحيانا ان تهبط النساء السلم المؤدى الى القبو .

– هذا صحيح ، ولكنها لم تكن قد ارتدت ثيابها ثم ان الوقت كان مبكرا وعندما تضحو المرأة فى الصباح فليس من الطبيعى ان تبدأ بهبوط سلم القبو اليس هذا رأيك ؟.

– لا أظن ذلك ، لا ادري ولكن قد يحدث هذا فى بعض المناسبات .

– هذا جائز ومما يؤسف له إنها لا تستطيع أن تفسر لنا ذلك ، ولكن ما باليد حيلة ، أن قضايا القتل لتكون من أسهل الأمور لو أن القتيل استطاع ان يتكلم ولكن هذه الفرصة ليست ميسورة لنا بكل أسف .

لم يكن لهذا الحديث الذى لا رابط له من نتيجة الا أنه زاد الطبيب قلقا على قلقه ، وقد بدأ هذا القلق يبدو عليه فى وضوح ، بل انه أظهر دون أى انزعاج أنه أصبح يعتقد ان ماركوس غير كفء وغير قدير فى عمله ، وأحنى رأسه بقدر المستطاع والتقط حقيبة أدواته الطبية ، وكان قد ألقاها بجواره على الأرض وقال :

- ليس هناك أى ريب فى ذلك ، ولكن اذا سمحت لى فاني ارى ان من الأوفق ان أعود الى عيادتى ، أننى اضطررت الى قطع جولتى فى المستشفى وسأجد حشدا من المرضى فى العيادة .

- يمكنك ان تنصرف يا دكتور ، فسوف نهتم بكل شئ الآن .. ان الطبيب الشرعي سوف يأتى حالا لكى يرى الجثة قبل نقلها ، وارجو ان لا يغضبك هذا .

- كلا ، طبعا اظن انه هو الذى سيتولى تشريح الجثة .

- نعم فهذه هى العادة .

- حسنا اذا احتجت الى من جديد فستجدنى فى عيادتى ..

وأخذ حقيبته وصعد السلم واختفى من الباب العلوى وكان فوللر ، قد بقى على حدة فتنحنح كما لو كان يريد ان يقول لماركوس انه موجود وأنه مستعد لكى يثرثر معه .

وفهم ماركوس الدعوة فقال له :

- حسنا يا فوللر ، ما رأيك ؟..

أجاب فوللر :

– يبدو لى أن الأمر واضح بما فيه الكفاية .

– حادث ، أليس كذلك ؟.

– وماذا تظنه غير ذلك ؟.

– وهل هناك احتمال آخر ؟.

– نعم ، إننى أعرف .. الجريمة هناك جرائم دائما .

– ليس دائما وإنما غالبا .

– ولماذا تفكر فى الجريمة ، فى هذه الحالة بالذات ؟.

– انني لا أفكر فيها يافوللر وانما اتساءل ..كانا قد وصلا الى النقطة الحاسمة ، كان فوللر يعرف ان الملازم ينتظر منه الآن ان يسأل السؤال العادي ، كان على ماركوس ، ذلك العبقرى ، أن يثير ذلك الغبى فوللر.

– تسأل عن ماذا ؟.

– اجابه ماركوس :

– شئ بسيط ، اننا فى بيت صغير عبارة عن دور ارضى وقبو ، والسلم الوحيد الموجود هو ذلك الذي يؤدى الى هنا .

– هذه ملاحظة رائعة ، وانا فخور بأن أفكر أنه كان فى استطاعتى أن استنتج هذا .

– إنني على حق يا فوللر ، بل إن هذا يبدو تحصيل حاصل ، ولكن هذه الملاحظة تجعلنا نفكر أنه لابد من أن تكون هناك ضرورة ، واذا كان هناك سلم من الدور الارضى الى الدور الأول مثلا فإنى أتساءل هل كانت مسز

ثورستون من سلم القبو ؟..

– ماذا تعني ؟..

– معنى هذا انه يجب ان نتدبر بما تحت أيدينا ..

ولكن دعنا من ذلك إنني لاحظت ان مستر ثورستون لم يهبط معنا .

– كلا .. إنه بقي فوق ، هل تريد ان أقول له أن يأتي ؟.

– إنني اريد أن أراه ، ولكن ليس هنا سوف نصعد الآن تعالى يا فوللر..

كان ثورستون ويللر ، جالسا أمام مائدة المطبخ ، وكان قد أعد القهوة وكان أمامه على المائدة قدح مملوء بالقهوة ورفع عينيه عندما وصل ماركوس ولكنه لم ينهض ، وأخذ ماركوس مقعدا وجلس وبقي فوللر واقفا بجوار القبو .

وقال ويللر :

– هل تريد قدحا من القهوة ايها الملازم ؟.

– كلا أشكرك ، إني احتسيت قهوتي مع الافطار .

– أما أنا فلا ، أعني أنني لم أتناول قهوتي بعد ، كان من عادة ايتل المسكينة ان تنهض لكي تعدها ولكنها لم تعدها هذا الصباح .

كان ثورستون ويللر يحاول أن يتجلد لأنه كان واضحا أنه أنزعج عندما رأى ماحدث لايتل المسكينة بدلا من اعدادها القهوة ، ودفن أنفه في الدخان المعطر المتصاعد من فتحة وجرع جرعة كالمريض حين يشرب جرعة من دواء بغيض ، رسأله ماركوس :

- اكانت قد بدأت باعدادها ؟.

- ايتل .. بدأت باعداد القهوة ؟.. لا أظن ذلك فان كيس البن كان لايزال فى الدولاب ، حيث تضعه عادة ولم يكن بالغلاية ماء لماذا ؟.

- معنى هذا انها مضت رأسا الى سلم القبو ، هل تعتقد ان هذا هو ما فعلته ..

- الحق اننى لا ادرى ولكن هل لهذا أهمية ؟.

- ربما لا ، ولكن الأمر غريب مع ذلك فإن أغلب الناس يبدأون باعداد القهوة بمجرد صحوهم ، وهذا ما أفعله انا نفسى ، بل يبدو لى أن هذه عادة قومية .

- هذا ما كانت تفعله ايتل فى العادة على كل حال كانت تقوم بإعداد القهوة أثناء إعدادها طعام الإفطار ، ولكنها لم تفعل شيئا من هذا صباح اليوم ولا ادرى لماذا .

- هل تقوم زوجتك بصنع معلبات ؟.

- معلبات ..؟ لا افهم ..

- أعنى معلبات من الحلويات والمربى والخضروات .

- لا .. أبدا .. لا أظن ان النساء يصنعن مثل هذه الأشياء فى هذه الأيام ..

- لا أثر اذن من هذه الناحية ، كان فى مقدورنا أن نرى فى هذا سببا لهبوطها الى القبو قبل الإفطار ، لكى تبحث مثلا عن إناء أو برطمان مثلا ، فان النساء تحتفظ عادة بمثل هذه الآنية فى القبو .

– ليس لدينا أى شئ من هذه الآنية فى القبو ، وددت لو أنى استطيع مساعدتك أيها الملازم ولكننى لا أستطيع ومهما يكن ، وكما سبق ان قلت فاننى لا أرى أهمية لذلك .

– ومن المفيد دائما أن نعرف هذه النقاط حين نعيد تمثيل حادث وقع ولكن قد تستطيع مساعدتى بطريقة أخرى ، هل كان من عادة زوجتك ان تمضى الى المطبخ قبلك وأن تعد الافطار ؟.

– نعم كل يوم فيما عدا يوم الأحد ، كنا ننهض معا بمجرد ان نسمع رنين المنبه فتمضى هى الى المطبخ فى حين أذهب أنا الى غرفة الحمام فأغتسل وأحلق ثم أعد نفسى لطوال اليوم ، فإننى أحب أن أكون فى عملى فى الساعة الثامنة .

– وماهو العمل الذى تقوم به ؟..

– إننى تاجر ..لى محل لبيع الأحذية .

– آه وأين كنت تنام ؟.. أمع زوجتك ؟

– نعم فى الغرفة الأمامية .

– لابد من اجتياز البيت إذن وهى مسافة كبيرة من غرفة النوم حتى هنا ومع ذلك فان البيت صغير كان يجب ان تسمع شيئا عندما وقعت زوجتك .

– إنني سمعتها تصرخ وتتدحرج فوق السّلم ، وكنت قد خرجت لتوى من تحت الدش ، ووجدتها حيث رأيتها أنت تماما ، كانت ممددة أسفل السلم .

– ولكنك مرتد ثيابك الآن ؟.

– عندما أتى الطبيب ، وتأكدنا أنها ماتت دون أى ظل من الشك ، وبعد

أن استدعينا البوليس ذهبت وارتديت ثيابى .

– عندما وجدتها تحت السلم هل خطر لك انها ماتت ؟.

– لم أكن أعلم .. لم أكن واثقا .

– لماذا لم تفكر فى نقلها من مكانها .. الم يكن ذلك أمرا طبيعيا ؟.. أن تحملها وترقدها فى فراشها ؟..

– خفت أن أفعل ذلك ، فقد خشيت أن تكون قد اصيبت بارتجاج فى المخ او بشئ من هذا القبيل ، وقد سمعت كثيرا أن نقل مصاب بارتجاج فى المخ امر شديد الخطر .

– وبعد كم من الوقت جاء الطبيب .. ؟.

– بعد وقت طويل جدا ، ولكننى لا أستطيع التحديد نحو نصف ساعة ، وقد اضطرت سكرتيرته الى الاتصال به فى المستشفى .

– وماذا فعلت أثناء ذلك ؟.

– وماذا كان فى استطاعتى أن أفعل ؟.. لا شئ تقريبا .. أخذت ملاءة وغطيتها بها وبقيت بجوارها .

وحاولت ان اتحدث اليها ، ولكنها لم ترد على .

– لاريب أنك تأكدت بعد فترة من أنها ماتت ؟..

– نعم أظن ذلك .

– أني أسف من أجلك ..لاريب ان الأمر كان شاقا عليك ..

– نعم كان شاقا جدا .

راح ثورستون ويللر يعيش من جديد ما حدث له، كما سوف يعيشه بالطبع مرارا كثيرة فى الأيام التالية ، فقد أخذ قدح من القهوة وجعل يحتسيه ، وكان يرتجف وراح القدح يصطك بأسنانه ، وكانت القهوة لا تزال ساخنة وأخذ يحتسيها فى جرعات صغيرة وهو يكاد يمتصها تقريبا ، ونظر ماركوس إليه وهو يحس بعقدة الذنب والحق أنه تعذر عليه أن يحس نحو ثورستون بذلك الرثاء الذى لابد منه نحو زوج ماتت زوجته لتوها أثر حادث ، ولكى نتكلم فى شئ من الغلظة لم يكن يجب مستر ويللر ، لم يجب بشفتيه الغليظتين المتبلتين ولا وجهه الاصفر الذى كان يبدو لونه كلون عجينة من الدقيق والماء ، بل أن أحس بشئ من الضيق امام مستر ويللر ، وخيل له أنه يشعر فى حضرته بشئ ينم عن الانحراف .. شئ بغيض أحس بأنه أمام رجل غير مستقيم ، ومما زاد إحساسه بالضيق ان ثورستون ويللر ، أوحى إليه بإحساس لم يكن ينبغى أن يحس به ..

قال مستر ويللر :

– أظن أنك كنت وحدك مع زوجتك عندما وقع الحادث ؟.

– هذا صحيح .

– الم تنجبا أطفالا ؟..

– كلا فإننا لم نتزوج الا منذ عام أو اكثر بقليل ..

وقد يدهشك هذا ايها الملازم ، لأنى كما ترى لست شابا يجب أن اعترف بأننى سبق ان تزوجت ، وكانت زوجتى الأولى تختلف عن أيتل كل الاختلاف كانت أصغر مني بست سنوات فى حين كانت أيتل أكبر منى بسنتين وزوجتى الاولى دوتى ، كانت جميلة جدا لكنها لم تكن وفية لى ابدا ، وفى

ذلك الوقت كنت أشتغل وكيلا تجاريا لشركة أحذية ، وكنا نقطن مدينة أخرى وكنت أغيب عن البيت خمسة أو ستة أيام فى الأسبوع وكانت دوتى تنتهز الفرصة لكى تنشئ علاقات آثمة مع رجال آخرين ولم أرها منذ ذلك الوقت وقد حصلت على الطلاق بسهولة بسبب هجرها بيت الزوجية .

– أنت رجل غير محظوظ ، ويؤسفنى ذلك .

– ولكن لا داعى لهذا الأسف إننى أصبت بصدمة طبعا ، ولكنني وجدت أننى كنت رجلا محظوظا حقا وأعتذر لأنني أحدثك بهمومى الشخصية ولكن يخيل لى أن من مصلحتك ومصلحتى فى نفس الوقت أن ترى ما يمكن أن تكون له أهمية حقا .

– أنك تبدو حكيما ، ووددت لو أن يكون كل الاشخاص الذى أقوم بالتحقيق معهم متفاهمين هكذا مثلك وبهذه المناسبة ، متى غادرت المدينة الأخرى ؟..

– آه .. كان ذلك قبل أن أتزوج ايتل بنحو ستة شهور تقريبا .. أى إننى غادرت المدينة الأخرى منذ نحو عشرين شهرا ..

– ولماذا أتيت للأقامة هنا بدلا من أى مكان آخر ؟.

– ذلك أن هذه المدينة كانت ضمن دائرتى عندما كنت أعمل مندوبا للشركة التى كنت أشتغل بها ، وقد رأيت أنها مدينة صغيرة تصلح لان أقيم فيها تجارتى ، فلم أشأ أن أبقى بائعا بالعمولة طوال حياتى ، وكنت أبحث عن محل مناسب منذ وقت طويل ، وبعد الذى حدث من زوجتى الأولى استقر رأيى على أن أقوم بهذا المشروع ، وعلى الرغم من كل التبذير والإسراف كنت قد استطعت ادخار مبلغ لا بأس به ، وهكذا أقبلت هنا بعد بضعة

شهور .

– وما هى المدينة الأخرى التى كنت تقطنها ؟.

– هى مدينة صغيرة على بعد نحو مائة وخمسين ميلا ..اسمها كادموس..

– أنني أعرفها . هل كانت مسز ويللر قد تزوجت قبل ذلك ؟..

– ايتل ؟ كلا عندما التقيت بها كانت بائعة فى قسم القفازات بمحل كبير يقع بجوار متجرى وقد اعتدنا ان نختلف الى نفس المطعم .

وكان ثورستون ويللر ، قد ألقى قدحه فوق المنضدة وهو ينطق بعبارته الأخيرة ، وأتى بإشارة من يده لها معناها ،وقال وقد ارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة كبيرة رأى ماركوس أنها تعبر عن مشاعره تعبيرا صادقا ..

– أظن أنها كانت عانسا ، كانت ساذجة وصريحة ومهما يكن فلم أكن أعبأ بشئ من ذلك ، بل كنت أفضلها هكذا فقد كانت هى المرأة التى تلزمنى بعد الذى لقيته من دوتى ـ

***.

كانت عبارته كابتسامته تنطق بالصدق كان ثورستون ويللر قد أحب زوجته ، وقد نغالى اذا قلنا انه احبها حبا عظيما ، ولكنه أبدى نحوها إخلاصا ووفاء كبيرين ، احس بالارتياح والرضا فى صحبتها ، وقد أحزنه موتها ، ولهذا السبب بالذات أحس ماركوس بضيقة أكثر من ذى قبل ، لانه على الرغم من نبرة الصدق التى تتسم بها لهجة ثورستون أحس ببغضه له

يتزايد ، ولكن كان عليه ان يكون على حذر ، وان يفكر بكل هدوء وروية ..

ولكنهما ابتعدا عن الموضوع ، ولم يمض الاستجواب فى الاتجاه الذى كان ماركوس ينوى أن يوجهه نحوه لا لشئ إلا لأن ثورستون ويللر قدم تلك اللحظة معلومات لم يكن فى نية ماركوس ان يطلبها منه ، وعاد الى نقطة البداية من حديثهما فقال :

– أعود الى الموضوع الذى يهمنا .. إنك كنت وحدك بالبيت ، مع زوجتك وعندما وقع الحادث ولعلك تفهم يا مستر ويللر ان هذه النقطة تضعك فى موقف حرج ، فلابد لنا ان نتعمق فى تحرياتنا الى أقصى حد .

– هذا أمر طبيعي ، وأننى أفهم الموقف تماما ولهذا السبب حاولت أن أكون صريحا جدا معك ..

– انك على حق ،هكذا يجب أن يفعل المرء دائما ولكن يجب الآن ان القى عليك أسئلة حرجة قد تبدو لك بغيضة ، وسنتحقق طبعا من ردودك ولهذا أفضل أن أنذرك ان من مصلحتك ان تذكر لنا الحقيقة ، ارجو ان لا يغضبك قولى هذا .

– كلا .. اننى افهم تماما .

– حسنا ، هل كانت زوجتك سعيدة فى البيت ؟..

وبطريقة أخرى هل لديك من الأسباب ما يحدوك الي الظن بأنها كانت تهتم برجل أو برجال آخرين ..

ابتسم ثورستون ويللر مرة أخرى ، وقد جمع فى ابتسامته بين الحزن والطرب وقال :

– كانت زوجتي سعيدة وكانت تعتبر انها امرأة محظوظة لا لانني وسيم ولكن لأنها وقعت على رجل فحسب ..

– وأنت ؟.. هل ترى أنك كنت محظوظا ؟..

– سبق أن أطلعتك على مشاعرى .. أعطانى زواجى الاول رأيا متعصبا عن الخيانة الزوجية ، وكنت وفيا نحو ايتل وكنت سأبقى على وفائي نحوها .

– الواقع هذا جائز ، هل كانت مسز ويللر تملك ثروة خاصة ؟.

– عندما تزوجنا كان حسابها فى البنك لا يزيد عن مائة دولار ، ولم تكن تملك شيئا آخر ، فقد كانت تعيش من مرتبها كموظفة .

– حسنا سؤال آخر ، هل كان لها وثيقة تأمين ؟.

– كان لها وثيقة صغيرة لتغطية نفقات جنازتها وثيقة بألف دولار .. وأظن أنها تضم شرطا بان يكون التعويض مضاعفا اذا ما ماتت نتيجة لحادث ولكن ـ تى اذا كان هذا صحيحا ومع تكاليف الحياة الحالية فأظن انني سأدفع من جيبى لتكملة نفقات الجنازة .

– حسنا ، هذه نقطة مفروغ منها ، ربما لم يكن مركزك حرجا كما كان يبدو لي ..

ودفع ماركوس مقعده الى الخلف ونهض قائلا :

– يؤسفنى أنني فرضت عليك هذه المحنة يا مستر ويللر سيأتي الطبيب الشرعى بعد لحظات لحسن الحظ ..

ولابد له من أن ينقل جثة زوجتك طبعا لكى يقوم بعملية التشريح ، ولكننا سنعيدها إليك فى اقرب وقت ، فإننى أعتقد أنك تريد الاهتمام بها بقدر ما

نستطيع ..

- أشكرك أيها الملازم ، إننى مستعد لكى اتحمل النتائج التى يمكن أن تفرضها تحرياتك ..

وتحول ماركوس الى فولر وأخبره بأنه سينصرف وقال له :

- أما أنت فيمكنك أن تعود الى المدينة مع الطبيب الشرعى ..

ولو أنه انتظر دقيقة واحدة لامكنه ان يصطحب فولر معه ، فقد التقى بالطبيب الشرعى فى الطريق ..

* * *

قال ماركوس :

- يجب أن نفكر دائما فى قانون الاعداد الكبيرة عندما نحاول أن نفهم كيف يفكر الغير ..

وكان فولر بجواره فنظر اليه مشدوها ، لم يكن به أية رغبة فى التفكير فى قانون الإعداد الكبيرة ، ولا فى أى قانون آخر يتعلق بالعموميات ، ولكن لما كان لا يستطيع ان يتهرب من الاستماع فقد جلس على المقعد الصغير الذى بجوار مكتب ماركوس وقال :

- إننى فى أحد ايامى السعيدة ، فإنى اردت دائما معرفة قانون الاعداد الكبيرة .

- سوف يدهشك ذلك طبعا يا فولر ، لأنه قانون تعرفه منذ سنوات حتى إذا لم تكن تدرك أنك تعرفه .

- يسرنى هذا فإننى اكره الجهل ، خصوصا عندما أكون أنا الجاهل ،

قل لي ما الذى اعرفه دون أن أعرف اننى أعرفه .

- ان قانون الاعداد الكبيرة اذا طبق مع المنطق يا فوللر ، ليس الا طريقة معقدة لان نقول ان الغالبية العظمى منا تفعل أشياء معينة لأسباب مناسبة ، ولكننا لا نفعل هذه الأشياء لأسباب غير مناسبة ..

- فهمت لابد لنا من دوافع .

- تماما ، فما من شئ يقع فى هذه الدنيا إلا إذا اعتقد الشخص أنه يفعل ما يفعل لأسباب كافية تدفعه الى ذلك .

- وهذا القول يبدو معقولا .

- بل هو على العكس غير معقول . واذا اردت فسأسمح لنفسى بأن اقول إن العقل لا يهيمن بالضرورة على تصرفات الانسان ، فقد عرفت مرة رجل قتل آخر لا لشئ الا لان ذلك الاخير أصر على ان يدير فى احد البارات نفس الاسطوانة فى الفونوغراف مرارا عديدة ، وقد طلب الأول منه فى لهجة مهذبة ان يمتنع عن فرض هذه الاغنية على الحاضرين ، ولكن ما كان من الاخر إلا ان رد عليه وقال له فى برود ان ما عليه إلا أن يمضى الي مكان آخر اذا شاء ، وعندئذ اخرج الرجل الاول مسدسه وأطلق عليه عدة رصاصات . فما رأيك فى هذا ؟.

اظن ان الرجل الاول كان مجنونا ؟..

هذا جائز ، وكان هناك عشرة من الشهود على الأقل ، ولكنهم لم يثيروا مسألة ادانة القاتل او براءته ولكن الذى اريدك ان تفهمه هو لو أن هذه الجريمة ارتكبت فى مكان لم يكن به أى شهود ، ولنفس السبب لما صدقها

أحد ..

– بلا شك ، لكن اين يؤدى بنا كل هذا ..

– هذا يؤدى بنا يا فوللر الى قانون الأعداد الكبيرة .. إن الاغلبية العظمى منا لا تمتنع عن ارتكاب جرائم القتل لأسباب تافهة فحسب ولكن يتعذر علينا أن نصدق ، ما لم تكن لدينا أسباب ملموسة ان بعض الناس يرتكبون جرائم القتل لنفس الأسباب صفوة القول ، إننا إذا ارتكبنا جريمة القتل فان أفضل وسيلة لكى نتخلص من عواقبها هى عدم وجود اسباب كافية تدعو الى ارتكابها .

– ولكن لماذا ترتكبها إذن ؟.

– إنك وصلت الى النقطة الحاسمة يا فوللر لماذا ؟ .. نعم ، لماذا ؟.. ربما لأنك لا تحب وجه جارك وربما لأن زوجتك تنشر جواربك فى غرفة الحمام .

– اذا سألتنى رأيى فهذه اسباب حمقاء .

– هذا هو ما أعنيه يا فوللر ، انت جزء من الاغلبية العظمى حقا ، وعقلك يخضع لقانون الاعداد الكبيرة .

– ولكن لا يمكن أن نقضى كل الوقت فى الشك فى اناسا أرتكبوا جريمة لاسباب غير متماسكة ، لا يمكن لرجل البوليس ان يفعل ذلك على الاقل .

– هذا هو ما أقول يا فوللر ، وقد نطقت بالقانون انت نفسك ، لا يمكن لرجال البوليس ان يفعلوا ذلك فان رجال البوليس بحاجة الى قرائن وهم بحاجة الى دوافع ، وهذا هو ما يزعجنى انا بالذات ، لاننى من رجال

البوليس .

– أنت منزعج اذن ، ولكن لماذا ؟.

– أنى أفكر فى تلك المرأة التى تدحرجت من سلم القبو تلك المسكينة مسز ثورستون ويللر .

– كان ذلك حادثا ، وكانت نتيجة التحقيق لا تقبل الشك .

– إننى أعرف نتيجة التحقيق ، ومع ذلك فأنى أتناول عن كل شئ لكى اعرف الحقيقة ..

– ولكنك قمت بالتحريات بنفسك ويجب أن تكون عارفا بالحقيقة اذن .

– إننى قمت بالتحريات ، نعم ويجب أن أكون عارفا بالحقيقة كان لدى مشبوه رائع ، اذا جاز لى ان أدعوه كذلك على الاقل ، وكان فى مقدوره ارتكاب الجريمة ، ولكن لم يكن هناك اى سبب يدعوه لارتكابها ولا استطيع أن أتهم شخصا بارتكاب جريمة قتل لا لشى الا لانه كان فى مقدوره أن يرتكبها إذا أراد ..

كان مستر و مسز ثورستون متفاهمين تماما ، وقد شهد كل الجيران والاصدقاء بذلك ، ويبدو انه لم يكن لديهما اى سبب للشجار ، ولم تكن تملك ثروة خاصة ووثيقة التأمين لا يمكن ان يكون لها اى دخل فى هذه الجريمة ولم تكن تربط أى منهما أية علاقة خارجية .

كان كل منهما نقيا نقاء العصفور الوليد ، وفوق ذلك فقد أسفرت نتيجة التشريح على أن كل الجراح التى أصيبت بها مسز ويللر ، والكسر الذى فى رأسها ، كل ذلك نتج عن وقوعها وتدحرجها فوق السلم ، ولكن الضربة التى

أصابتها فى عنقها من الممكن أن تكون قد أصيبت بها عندما وقعت وارتطمت رأسها بأسفلت القبو ، ليس هناك أى دليل علىٰ الجريمة ، ومرة أخري وأخشى أن أكرر نفسى ، ليس هناك أى دافع فماذا تستنتج من كل ذلك يا فوللر ؟.

- إنه ليست هناك أية مشكلة ، ولقد وقع لمسز ويللر حادث ، ومستر ويللر برئ وليس قاتلا ..

- فى هذه الظروف لماذا اشعر بالضيق اذن ؟.

ان المناقشة انتهت لهذا اليوم ، ألديك أى سؤال آخر واضطجع ماركوس فى مقعده إلى الخلف بقدر ما استطاع ..

* * *

كان رئيس البوليس يمت الى تلك الموجة الجديدة ويقدم على الصعيد المحلى ، الدليل على التطور القوى ، فلابد من مكانس جديدة لكي يتم التنظيف كما يجب والحاجة الآن ، فى جميع المستويات من القمة الى القاعدة ، وفى كل مكان هنا كما فى أى مكان آخر الى الافكار الجديدة الواضحة الجلية لهؤلاء الذين يسلكون بدورهم الطريق الذي سلكه الآخرون قبلهم .. يجب التخلص من الآراء العتيقة واستبدالها باراء جديدة ربما لن يكون ذلك أفضل ولكنه سيكون مختلفا على الاقل .

وكان الرئيس الجديد يدعى كارل كنكيد ، وهو رجل ألماني الاصل متشكك بطبعه ، صارم في تصرفاته وحركاته وكان يناهز الثلاثين من عمره وأحس ماركوس بأنه لا يصلح لشئ إلا الاعتزال إذ تقدمت به السن وأرهقه التعب ونضج بالويسكى والتبغ وناءت أخطاؤه الماضية فقد بلغ ماركوس

الأربعين من عمره ، وسأله كنكيد :

- ما الذى أتى بك إلى كادموس أيها الملازم ماركوس .

أجابه ماركوس :

- إذا أردت الحق فإننى أقوم ببعض التحريات .

- اهى قضية رسمية .

- نعم بطريقة أخرى ، فلنقل إن تحرياتى اذا طلبتنى الكتمان فان ذلك يجنبنى متاعب كثيرة .

- لا أدري إذا كنت أفهم ما تعنيه تماما .

- أوه ان الامر غير معقد اطلاقا ، إننى انما احاول ان اجمع بعض المعلومات عن شخص كان يقطن هنا وقد تستطيع ان تزودنى انت بها ؟.

- آه .. ومن هو ؟.

- إنه يدعى ثورستون ويللر ، أعتقد أنه رجل من المدينة منذ نحو عشرين شهرا ، كانت زوجته قد هجرته ، ويبدو أنها هربت مع رجل آخر.

- نعم .. إننى أتذكر ذلك .. نشرت الجريدة المحلية القصة ، وأظن أنه كان هناك تحقيق .. تحقيق صورى كما يبدو لى ..

- تحقيق صورى ؟.. ولماذا ؟.

- إذا أردت الدقة فان دوائر البوليس لم تكن تعمل كما يجب فى ذلك الوقت ..

كان الموظفون غير أكفاء ، وينتهجون أساليبا بالية لم يكن أى منهم يقوم

بعمله كما يجب حقا .

واستمع ماركوس عندئذ الى نظرية كاملة عن الأساليب الحديثة التى يجب أن ينتهجها رجال البوليس فى العمل ، وخيل له أن هذه الأساليب بعيدة عن أية جدوى ولم ترق له أبدا . ولكن لعله ينتمى الى الجيل القديم ولعله يمارس منذ وقت طويل ، ولعله بلغ الآن النقطة التى ينبغى ان يعتزل فيها العمل .. قال :

– اذا كنت قد فهمت جيدا فإنك لم تكن قد التحقت بالعمل بعد..

– كلا لم أكن قد التحقت بعد .. إننى عينت بعد انتخابات البلدية الأخيرة عين عمدة جديد ومفتشون جدد ، و تغير جميع الموظفين فعلا .

– ألم يبق بدوائر البوليس شخص على علم بالتحقيق الذى دار فى قضية ويلر ؟..

– كلا، طبعا وانا واثق من ذلك ولكن لا ريب أن هناك ملفا .. ولكن ما قيمة الملف ؟.

– أن التقارير مهما كانت دقيقة لا يمكن أن تكون كاملة أبدا ، إننى أفضل ان أتحدث مع شخص يكون قد تولى التحقيق ، ما اسم رئيس البوليس الذى كان قبلك ؟.

– إنه يدعى شريير .

– هل تعرف أين يقيم ؟.

– إن له بيتا صغيرا يقع على طريق كوير ، وهو شارع جانبى يتفرع من الشارع الرئيسى للمدينة ، عند الباب الغربى لها ، وقد وضعت البلدية

الجديدة لافتات عند كل المنعطفات ،ولا يمكن أن نضل الطريق ،ولكني لا أعتقد أن العجوز برت يمكن ان يخدمك كثيرا ،حتى ولو أراد أن يساعدك حقا .

– ولماذا لا يريد ؟.

– إن عقله هذه الأيام ليس كما يجب ، فهو يتوهم أنه راح ضحية مؤامرة سياسية او بشئ من هذا القبيل .. انت تفهم ما أعنيه .

– كلا ، لم امر بهذه التجربة بعد ، لم أطرد من البوليس أبدا ، ولكن قد يحدث لي ذلك ذات يوم .

– إذا لم أكن متطفلا فهل أستطيع أن أفهم لماذا تهتم بثورستون ويللر ؟.

– إن زوجته وقعت من سلم القبو .. كان الأمر حادثا .. أو هكذا كانت نتيجة التحقيق على الأقل .

– وتراودك شكوك أخري ؟.

– إن الشكوك تراودني دائما ، ويحدث لى أن أخطئ ، ولهذا السبب أريد الكتمان .

وأخذ قبعته وخرج ، وانطلق فى الطريق العام ، وانعطف الي الشارع الثانى فى طريقه غرب المدينة ولم تكن كادموس بالمدينة الكبيرة ، وخيل له انها لا تضم اكثر من عشرة آلاف مواطن وبعد أن اجتاز ستة شوارع ، وهى الشوارع الرئيسية للمدينة ، تجمعت فيها متاجر ومحلات النشاط التجارى للبلد تفرقت البيوت أكثر من ذى قبل وراح ينظر الى اللافتات

المعلقة فى أول كل شارع وهو يشكر للبلدية الجديدة جهودها ، ورأى اللافتة التي يبحث عنها أخيرا ، وكان طريق كويلر آخر الشارع عند حدود المدينة الغربية ..

وعرف ماركوس البيت الذي ينشده من صندوق البريد الذى يقع أمامه فقد كان يحمل اسم البيرت شريبر فأوقف سيارته ، وقطع على قدميه طرقة صغيرة ، وفتحت له الباب امرأة ذات شعر أبيض تضع على عينيها نظارة خاطبها قائلا :

– صباح الخير يا سيدتي ، اسمي ماركوس ، وابحث عن مستر البيرت شريبر .

أجابته المرأة :

– إنه فى الحديقة ، خلف البيت .

– شكرا لك .. سأمضى اليه .

– يمكنك أن تدخل من البيت ، اذا أردت .

– بل أفضل أن امضى الى الخلف حتى لا تتخلف عنى قدمى أقذارلا داعى لها ..

ودار بالبيت المنخفض ، وكانت تحيط به أحواض مملوءة بزهور جميلة ورأى خلف الجاراج رجلا منحنيا فوق مجرفة يجرى بها فوق العشب ، وكان رجلا مسنا قوى الجسم يرتدى قميصا خشنا أزرق وبنطلونا من القطن كان هو البيرت شريبر طبعا ، وكان قد اعتزل العمل وعكف علي زراعة الكرنب وتقدم ماركوس حتى أول الحديقة ونادى شريبر ، فتحول هذا اليه ، وخلع

قبعته العريضة المبتلة بالعرق ، ومر بيده على شعره ومضى إليه ووقف معتمداً على مجرفته وقال :

– لا مانع عندى من الثرثرة ، ولكننى لا اريد شراء شئ .

ضحك ماركوس وقال :

– إننى لا ابيع شيئا ، ولكنى جئت لالقاء بعض الاسئلة .

– نفس الشئ ، إنني لا أعطى شيئا أبدا .

– ولكننى لن اكلفك شيئا ، كل ما أريد بضع معلومات لا غير ، بل إننى أقبل النصح اسمي ماركوس ، الملازم ماركوس .

– إنني سمعت عنك ، وأنك تمتع بسمعة طيبة ماذا أستطيع أن أؤدى لك

– إننى أبحث عن بعض المعلومات كما قلت لك منذ سنتين تقريبا كان يقطن كادموس رجل يدعى ثورستون ويللر ، كان منديا تجاريا ، فهل تذكره ؟.

انحنى البيرت شريبَر الى الأمام والقى بمجرفته فوق العشب ثم اعتدل وبحث فى جيوبه فأخرج خنجرا من جيب وكيس تبغ من جيب آخر وقال :

– هل تمضغ ؟.

– كلا اشكرك ..ولكن لا تحفل بى .

– لا أحد تقريبا يمضغ التبغ فى أيامنا هذه أنما سألتك عن طريق المجاملة .

وفتح خنجره وقطع قطعة من التبغ ودسها فى فمه ثم أعاد الكيس

والخنجر الى جيبه وقال :

– ويللر ؟ .. نعم اننى أتذكره جيدا ، لماذا تهتم به ؟.

– مجرد فضول .

– اذا كنت فضوليا كما تقول فلا ريب ان لديك اسبابا لذلك .

– أن زوجته الثانية ماتت نتيجة لحادث ، تدحرجت من سلم القبو .

– آه يبدو لى أن ويللر هذا قليل البخت مع النساء ، لقد هربت زوجته الأولى مع رجل آخر .

– وهذا هو سبب فضولى .. إننى أشعر دائما بالفضول عندما لا يكون للرجال بخت مع النساء ، يخطر لى دائما ان الأمر قد يكون عكس ذلك .

– ولم لا ؟ إننى أشك فى ذلك فى قضية ويللر بالذات ، كانت مسز ويللر نكبة لأى رجل ، كانت أصغر سنا من ويللر وكانت جميلة وجذابة ، وطبقا لمعلوماتى ، كانت فاجرة ، لم أعرفها شخصيا ، وكما قلت لك هربت مع رجل آخر ، واذا أردت رأيى فقد كان ويللر محظوظا اذ تخلص منها .

– ومن هو الرجل الآخر ؟.

– إنه يدعى سلون .. كليفورد سلون ، كان رجلا وسيما ولكن لم يكن له نفع ، كان يقوم بأعمال تافهة من وقت لآخر ، حاول ان يكون منتجا لاحدى شركات التأمين ، وأدار بعض الوقت ناديا للعبة البولنج ولا أدرى ماذا فعل غير ذلك ، وإنما أميل الى الظن بأنه كان يراهن فى ميادين السباق ، ومهما يكن فقد رحل ذات يوم مع دوتى ويللر ، ولم يرهما أحد بعد ذلك .

– ولكن كيف عرفت أنه رحل مع دوتى ويللر ؟.

هل رآهما أحد وهما يغادران المدينة ؟ هل ذكرت لاحد انهما راحلان ؟.

خلع البيرت شريير قبعته ومر بإصبعه على شعره الأبيض من جديد ثم قال :

– الآن وقد سألتنى هذا السؤال لا أدرى هل رآهما أحد واذا كانا قد أخبرا أحدا بنتيهما فإننى لم اسمع بذلك ابدا ، ولكن ماذا نستنتج ؟ ان الرجل الذى يتأهب للهرب مع زوجة رجل آخر لا يعلن ذلك على الملأ .

كان الجميع يعرفون أنهما يلتقيان كلما غادر ويللر المدينة ، وعندما بدأنا التحقيق اكتشفنا أنها أخذت كل حوائجها الخاصة وأنه فعل نفس الشئ هو الآخر .. أخذ كل ما له قيمة كان يسكن فى غرفة واحدة فوق محل الدخان ، فى الحى الشعبى ، ووجدنا الدولاب والادراج تكاد تكون فارغة ، إنه رحل معها ، ولاريب فى ذلك هذا هو ما حدث بالتأكيد ..

– وماذا فعلت انت بالضبط .

– الواقع أن ويللر أبلغنى باختفائها ، وكان لابد لنا من أن نفعل شيئا .وقد ذهبنا لكى نتحقق ولكننا لم نتعمق فى تحرياتنا ، كان من رأيى أنها اذا كانت قد هجرت عش الزوجية فهذا شأنها الخاص .

– طبعا هل أبلغكم ويللر عن اختفائها على الفور ؟.. أو بعد يوم أو يومين ؟.

– وكيف كان يمكنه أن يعرف ؟ إنه لم يكن يعلم شيئا ، كان يرحل صباح يوم الإثنين ولا يعود قبل مساء الجمعة او صباح السبت ، وفى الأسبوع المذكور ، وهو الأسبوع الذى هربت فيه زوجته لم يجدها بالبيت عند عودته

وقد أبلغ عن اختفائها صباح يوم الاثنين التالى وأظن أنه أراد ان يقوم ببعض الأبحاث قبل إبلاغ البوليس .

– هذا طبيعى ، فان الرجل عادة لا يصدق بسهولة أن زوجته هربت ، خصوصا إذا كانت قد هربت مع رجل آخر هل تذكر الوقت الذى لجأ فيه الى البوليس ؟.

– نعم كان ذلك يوم الاثنين ١٥ مارس سنة ١٩٦٥ ، وأتذكر التاريخ جيدا لانه كان يوم دفع مهايا العمال بمسبك كارتر ، ويقع فى الناحية الأخرى من المدينة ، والعجوز كارتر يدفع مهايا عماله نقدا دائما فى أول كل شهر وفى اليوم الخامس عشر منه وكنت أمضى اليه دائما وارافق الصراف فى الصباح حتى البنك لكى يأتى بالنقود ثم أعود به بعد ذلك الى المسبك .

ولم يكن هناك مايضطرنى إلى ذلك ، ولكن بدا لى ان أقدم خدمة لكارتر وأظن ان من المفيد دائما ان يقدم المرء خدماته ، ولكن قليلين جدا الذين يفعلون ذلك ومهما يكن فقد جاء ويللر يبلغ عن اختفاء زوجته فى يوم دفع المهايا .

– معنى هذا أن مسز ويللر اختفت فى الاسبوع الذى بدأ بيوم الاثنين ٨ يناير ..

– تماما ، وأظن أنها شوهدت لآخر مرة يوم الاثنين ٨ يناير .. رآها أشخاص كثيرين فى ذلك اليوم ، بعد رحيل ويللر ولكن لم يرها بعد ذلك .

– وماذا فعلت عندما ابلغك باختفائها ؟.

– بحثنا فى كل مكان تقريبا ، ولما كنا نعرف زوجته ونعرف حقيقتها فلم

يكن لدى أى سبب يحدونى للأهتمام بالآمر أكثر من ذلك بصفة خاصة والعجيب أن ويللر هو نفسه الذى أصر على أن نبحث فى كل مكان بل انه أصر علي ان نفحص القبو والحديقة الخلفية ، وأعتقد أنه كان يخشى أن نظن أنه قتل زوجته وعشيقها ودفنهما فى مكان ما ،والله وحده يعلم أنه كان لديه من الأسباب ما يكفى لكى يفعل ذلك ، وكان يعرف أننا كنا على علم بما كانت تفعله زوجته أثناء غيابه ..

ومما لاشك فيه انه قرأ الكثير من الروايات البوليسية ، ولكن اسمنت القبو لم يطرأ عليه أى تغيير منذ أن شيد البيت ،ولم يقم أحد بأى حفر فى الحديقة منذ سنوات ، كان فى مقدوره طبعا أن ينقل الجثتين الى مكان آخر ولكننى لم أتحقق من ذلك .

وأنت نفسك من رجال البوليس وتعرف صعوبة اختفاء جثتين دون أن يظهر لهما أى أثر ، إن هذا مستحيل تقريبا.. بل إنه مستحيل فعلا .

– هذا صحيح ، ومؤلفو الروايات البوليسية يكتبون حماقات كثيرة فى هذا المجال .

وتنهد ماركوس واشعل سيجارة لم يكن به أية رغبة فى تدخينها وقال:

– وكيف تظن أن مسز ويللر غادرت المدينة ؟.

– ليست لدى أي فكرة عن ذلك .

– هل كانت مسز ويللر تملك سيارة خاصة بها ؟.

– كلا لم يشتر لها ويللر واحدة ، واظن انه كان يخشى ان تسيئ استعمالها لو انه فعل .

– ويلون ؟.

– لم يكن يملك سيارة هو الاخر ، لم يكن يملك شيئا كثيرا يبدو انه كان يجتاز وقتا عصيبا .

– ومع ذلك وعلى الرغم مما كان يعانيه حسبت ان مسز ويللر رحلت معه

اعتقد ذلك .. هناك رجال كذلك ، لا يملكون شروى نقير وتجن بهم النساء .

قال ماركوس :

– ربما نراهما ذات يوم معا ، او نرى كلا منهما على حدة ، وربما لا نراهما ابدا ، ومهما يكن فانى أشكرك يا مستر شريير .

* * *

يقع على الرصيف المقابل لقسم البوليس مطعم صغير صاحبه رجل بدين يدعى فات فيرد يقدم فيها وجبات غذائية لا تتغير وبأسعار زهيدة .

وقد مضى ماركوس اليه فى ذلك اليوم ، كما اختلف اليه فوللر الآخر وكل منهما مضى وحده وان كانا قد جلسا الى نفس المائدة وطلب ماركوس شريحة من لحم البقر وبعض البطاطس المحمرة في حين طلب فوللر طبقا من الفاصوليا ومعها لحم حتزير ، وبعد أن فرغ هذا الاخير من تناول طعامه نهض ومشى نحو موزع اوتوماتيكى لعلب السجائر ، وفتش فى جيوبه وأخرج منها ثلاث قطع نقدية راح يتأملها طويلا فى حزن وأسى ظاهرين . كان ماركوس قد فرغ هو الآخر ، فمضى الى الخزانة وسدد حسابه ثم لحق بفوللر ، وربت على كتفه قائلا :

- هل تواجه مشاكل يا فوللر ؟.

أجابه :

- أنى بحاجة الى السجائر ولكن ليس معى ما يكفى من نقود .

نظر ماركوس الى القطع النقدية التى فى يد فوللر الضخمة .. كانت عبارة عن قطعة من ذات الخمسة والعشرين سنتا وأخرى من ذات العشرة سنتات وثالثة من ذات الخمسة سنتات .

قال له :

- احصها مرة أخرى يا فوللر .. أن معك ثمن العلبة بالتمام .

- ولكنني لا أستطيع انفاق القطعة ذات الخمسة والعشرين سنتا .

ولماذا لا تستطيع انفاقها ؟.. لماذا ؟.

- لان شخصا أعطانى إياها .. وهى تميمة مجلبة للحظ .

- يمكنك ان تستبدل ورقة مالية اذن .

- ولكن لا يزال على القبض ثلاثة أيام .. من هذا الذى تجد معه ورقة مالية قبل آخر الشهر بثلاثة أيام ؟.

بحث ماركوس فى جيبه واخرج قطعة من ذات الخمسة والعشرين سنتا أعطاها له وهو يقول :

- جرب هذه .. إنها ليست تميمة .

ووقف على الرصيف فى الخارج ولم يلبث ان لحق فوللر به فمضيا معا الى قسم البوليس .

وسأله ماركوس :

– فوللر .. اذا كانت هذه القطعة تجلب لك الحظ فلماذا لا تحرص عليها بصورة أفضل ؟.

– ماذا تعنى ؟.. إنها معى منذ سنوات واحرص عليها كما لو كانت ابنى

– وتضعها فى جيبك هكذا ، مع غيرها من القطع الاخرى ، ولا تخشى أن تنفقها ذات يوم دون ان تفطن الى ذلك .

– كلا إن بها علامة ، وأرى الفرق بينها وبين غيرها بسهولة ، بل إننى أستطيع أن اعرفها بمجرد أن المسها .

– ولكن الا تخشى ان تفقدها ؟.

– مسألة حظ كلا صدقنى إنها فى أمان اكثر وهى فى جيبى .

وكان فوللر معروفا بانه عنيد ، صلب الرأى ، ولكن ماركوس لم يكن ليعلق أية أهمية على ذلك ، ومهما يكن فما كادا يصلان الى القسم حتى مضى فوللر الى ناحية وماركوس الى ناحية أخرى ، ولم يلتقيا من جديد الا بعد ساعة ، وكان ماركوس يتأهب للعودة الى بيته ولكن قد لبس قبعته وخاطب الرقيب قائلا :

– أنت الذى على صواب يا فوللر ..

ودهش فوللر ازاء هذا التقدير الذى أظهره رئيسه فجأة وقال :

– أنا الذى على صواب ؟.. فى أى شئ ؟..

– بخصوص تلك القطعة النقدية ذات الخمسة والعشرين سنتا ، التى تعتبرها تميمة مجلبة للحظ والتى لم تنفقها ابدا .

طبعا ، قد سبق ان قلت لك ذلك .

– ثم انك عبقرى حقا دون ان تدرى يا فوللر .

قال فوللر فلتذهب الى الشيطان .

ولكنه لم ينطق بهذه العبارة الابين أسنانه ، وبعد انصراف ماركوس من القسم ..

كان ماركوس قد انعشته سذاجة موللر ، وهذا هو السبب فى أنه مضى للأطلاع على سجل المساحة ، وشيئا فشيئا راحت النظرية الجنونية التى بدأت تختمر فى ذهنه تكبر وتتضخم ، وتكلم فى التليفون مع مسز بيترى وراح يثرثر معها طويلا ، وبكل رفق ورقة ، ولم تكن لمسز بيترى من ناحية الشخصية أية أهمية ، ولكن اهميتها كانت تكمن فى انها جارة مستر ثورستون ويللر وأنها تسكن البيت الذى بجوار بيته مباشرة ، ولم تكن منبعا غنيا بالمعلومات لانها كانت لاتفتأ تعود الى الحديث عما يهمها هى ، ولكن ماركوس استطاع ان يحصل منها على ما يريد من معلومات دون أن تثير فضولها او حنقها .

كانت مسز بيترى جارة ممتازة وكانت ترى ان مستر ويللر رجل ظريف يجب على الجميع احترام حزنه ، سواء كانوا من رجال البوليس أو من القوم العاديين ،ولكن ماركوس كان يري رأيا آخر، غير أنه احتفظ به بنفسه وبعد أن استخلص منها ما يريد شكرها وتمنى لها يوما طيبا ووضع السماعة مكانها .

واضطجع فى مقعده الى الخلف وألقى قدميه فوق مكتبه وأطبق عينيه وراح يفكر فى ثورستون ويللر ، وركز تفكيره واستدعاه الى مخيلته ، ولم

يلبث ويللر ان تجسد ببطء خلف الجفنين المطبقين كشبح فى وسط الطريق التى يكسوها الشعر بشفتيه المكنزتين الحمراوين ،وفتح ماركوس عينيه لكى يطرد هذه الرؤية ، ولكن عندما أطبقهما من جديد كانت لا تزال هناك ، تحلق فى الظلام ، خلف جفنيه المسدلين ، فتنهد وراح وهو لا يزال مغمض العينين ، يبنى جدولا موجزا للأحداث .

فى يوم ٢ مارس سنة ١٩٦٣ اشترى ثورستون ويللر بيتا ، وهذا أمر أكيد لا يقبل أى جدل ، وقد عرف ماركوس ذلك فى نفس اليوم ، عندما اطلع على سجل المساحة اشترى نفس البيت الذي يقيم فيه اليوم .. هذا البيت الذي اشتراه في المدينة التى كان قد أعتزم قبل ذلك ان ينشئ فيها محلا متواضعا لتجارته ..

وفى يوم الاثنين التالى أى ٨ مارس ، غادر ثورستون ويللر بيته فى كادموس لكى يقوم بجولته الاسبوعية المعتادة ، تاركا زوجته الشابة خلفه وقد رؤيت هذه الزوجة الشابة فى نفس ذلك اليوم ، وبعد رحيل ويللر ولكن لم يرها أحد فى اليوم التالى ولم يتذكر أحد على الاقل انه رآها فى اليوم التالى ، وبعد خمسة أيام من ذلك أى فى يوم الجمعة التالى عاد ويللر الى بيته فوجده شاغرا وقد رحلت زوجته وهجرت بيت الزوجية ، وبعد أن استعلم وتكتم ، أو هذا هو المفروض على الأقل ، اضطر ان يتقبل النتيجة المحزنة وهى ان زوجته الفاجرة دوتى هجرت البيت .

ولم يكن فى هذا الامر ما يثير دهشة كبيرة لان الجميع كانوا يعرفون أن دوتى لم تكن وفية لزوجها ، ولأن ويللر كانت لديه من الأسباب ما يجعله يتوقع أن الأمر سوف ينتهى بها الى أن تهجره ، ولقد ذهبت صباح اليوم .

التالى ، ١٥ مارس وهو يوم دفع مهايا عمال مسبك كاتز الى البوليس وأبلغ باختفائها ، يبدو أنه فعل هذا لا على أمل ان يهتدوا الى دوتى ويعيدوها إليه ولكن لغرض آخر أكثر فاعلية وأكثر وضوحا وهو أن يبعد عنه الشبهة التى يمكن أن ترقى إليه هو الزوج االمخدوع ، وأن يقطع كل شك فى أنه استعمل العنف والحدة مع دوتى المذكورة .

وقد قام مدير البوليس ، البيرت شريبر ، الضحية الأخيرة للجيل الجديد بتحقيق مبدئى لم يتعمق فيه فى الظاهر ، ولكنه وجد مع ذلك أدلة تدعم الافتراض وهو افتراض لم يكن مستغربا بالنسبة لما تتمتع به دوتى من سمعة ، بأن زوجة ثورستون ويللر هربت مع المدعو كليفورد سلون ، وذلك خلال الفترة فيما بين يوم الاثنين ، ويوم الجمعة من الأسبوع السابق وأنها لاريب هربت فى يوم الاثنين بالذات ، وهو نفس اليوم الذى رحل فيه ثورستون ، ولم يكن الدليل قاطعا طبعا ، ولكن لم يكن هناك أى سبب جدى لاحتمال افتراض آخر ومع ذلك فلم يكن هناك خلاف كبير ، وكان من رأى الجميع انها ذهبت إلى حيث ألقت .

وبعد مهلة ستة شهور قام أثناءها بالاجراءات الخاصة للحصول على الطلاق بسبب هجر بيت الزوجية باع البيت وقرر أن يترك وظيفته ورحل من البلد .. جاء الى هذا البيت بهذه المدينة حيث يقيم حاليا ، وفى البيت الذى بقى شاغرا منذ ٢ مارس والذى لم يبق مع ذلك بدون عناية .

وذلك طبقا لشهادة مسز بيترى ، فقد قالت إن مستر ويللر له بيت جميل وإنه منذ بداية شهر مارس حتى شهر نوفمبر ، أثناء كل الوقت الذى بقى فيه شاغرا جاء ويللر كل أسبوع ، او كل عشرة أيام تقريبا لكى يقوم ببعض

الاصلاحات ويقص الأعشاب الزائدة .. صفوة القول لكى يبقى مظهرا محترما يليق بهذا الحى المحترم .

كان يبدو إذن ان ثورستون ويللر قد أقام لنفسه حياة جديدة وأنشأ تجارة .. محلا لبيع الأحذية .. كانت تجارة رائجة ولم يلبث أن تزوج باتيل وكانت تختلف عن دوتى اختلاف الليل والنهار ثم بعد فترة من الوقت ، وفى يونية سنة ١٩٦٧ ، ماتت ايتل ، بعد سنة من زواجها بالتقريب ، أو بعد أربعة عشر شهرا بالتحديد ، وقد ماتت قضاء وقدرا بأن وقعت من سلم القبو.

مسكين ثورستون .. ترمل مرتين ، والتاريخ يجب ان يكرر نفسه ، ولكنه كرر نفسه هذه المرة بطريقة مختلفة - كان هناك تقدم كبير .

وتساءل ماركوس :

- ولكن عندما هربت دوتى وكليفورد فبأية وسيلة غادرا البلد ، لان هناك طبعا مشكلة المواصلات ، فان ثورستون ويللر لم يكن يملك سيارة ثانية لكي تتمكن زوجته من استخدامها ، وكليفورد سلون لم يكن يشتغل وظيفة دائمة وكان يكتفي بما يتيسر له من مال ، وقد فقد سيارته ، هذا على فرض انه كانت لديه سيارة ، فكيف غادرا كادموس ، مهما يكن المكان الذى ذهبا اليه ؟.. أسيرا على قدميهما وهما يحملان حقائبهما ؟.. أم بالقطار أم بالاتوبيس ؟.. لو أن ذلك هو الذى حدث فقد كان لابد أن يراهما أحد فى بلدة صغيرة ككادموس ، هل كان هناك شخص ثالث ، سواء كان حليفا او صديقا ، أقلهما فى سيارته لمغادرة البلد ، اذا كانا قد غادرا البلدة بهذه الطريقة فلا ريب أنهما رحلا ليلا ، وهذا يفسر على الأقل أن احداً لم يرهما

وعلى الرغم من أن ماركوس كان متشككا فقد واجه هذا الاحتمال ولكنه لم يؤمن به لحظة واحدة . وفكر أخيرا في شئ آخر مختلف كل الاختلاف .

شكراً جزيلا لفوللر . وشكرا لقطعته النقدية ولكن حان الوقت الآن لكي يفعل شيئا بدلا من الاكتفاء بالتفكير .. حان الوقت لكي يجرب حظه..

ونهض واقفا ولبس قبعته وانصرف . وفيما هو يمر أشار لفوللر ، فأقبل هذا إليه على مضض . اذ كانت الساعة قد بلغت السادسة ، وكان قد أمضى يوما طويلا مرهقا .

وضغط ماركوس على جرس الباب ، وسمع الرنين في الداخل ولكن لم يأت أحد لكي يفتح .. وعاد فضغط على الجرس من جديد .. ونظر الى ساعته وكان قد عرج على أحد المحلات هو وفوللر وتناول كل منهما شطيرة بحيث تجاوزت الساعة الآن السابعة ، فهل لا يزال ثورستون في محله حتى هذا الوقت المتأخر أم تراه ذهب الى المدينة لتناول العشاء ؟ ولعله ، بكل بساطة لا يريد العودة الى هذا البيت الملعون الذى فقد فيه كل شئ ؟..

واستدار ماركوس ومر بجوار فوللر ، وهبط الدرجات الأمامية للبيت وكان الطريق الذى خلف البيت يحده سياج من أشجار السكوا ، بعلو يقرب من ستة أقدام ، ووجد بابا له نفس الارتفاع ، ويحجب الرؤية وأمسك مقبضه بيده وأداره فانفتح ، ودخل ، وفوللر من خلفه .

كانت الحديقة الخلفية مسورة تماما بالسياج ، وكان هناك ممر من الاسمنت يمتد من خلف الباب حتى باب آخر الحديقة ، وعلى بعد نحو خمسة عشرا مترا من الممر ، بين البيت والسياج ، كانت توجد تعريشة من الكروم ، ولكن ماركوس لم يمد يده الى العنب لانه كان رجلا مهذبا ، وبعد

التعريشة بقليل ، تماما امام ماركوس ، فى زاوية قائمة السياج نفسه كانت هناك دكة خشبية ومقعدان من الحديد المشغول مطليين باللون الاخضر ، وكان ثورستون جالسا فوق الدكة وقد ادار رأسه نحو ماركوس ، ومضى هذا الأخير ، ومن خلفه فوللر الى الدكة رأسا ، ولم يتحرك ثورستون ويللر وكان يبدو انه غارق فى نوع من ثورة الاعصاب ومتخشبا فى جلسته ، منعزلا فى الضوء الشاحب للنهار الذى كان يولى.

خاطبه ماركوس قائلا :

– مساء الخير يا مستر ويللر ولا ريب ان ذهن ويللر كان مشغولا لانه نظر الى ماركوس لحظة كما لو كان لايراه ثم أخذ ذهنه يعود اليه تدريجيا ، وبدا انه يعود من رحلة طويلة مشحونة بالذكريات وقال :

– أهذا أنت ايها الملازم ماركوس ؟.

– نعم اننى عرفت الباب ، ولماذا لم يرد على احد جريت حظى فوجدتك هنا .

– آه .. منذ ان ماتت ايتل اعتدت الجلوس هنا حتى يشتد الظلام لكى اضطر الى الاضاءة فى الداخل فان البيت يبدو شاغرا بصورة مخيفة .

جلس ماركوس فوق احد المقعدين من غير ان يدعوه الرجل ، وبقى فوللر واقفا على بعد خطوتين خلفه .

قال الملازم :

– لا أريد أن أكون متطفلا ، ولكن خيل لى ان من الضرورى ان أتى لكى اراك .

– آه أخشى إني لا أفهمك ، فقد كان لدى بالحرى احساس بأنه لم يعد بيننا أي شئ ..

– اعرف ذلك ، ولكننى أتيت من أجل أمر آخر .

– امر آخر ..حقا ؟.. مازلت لا أفهم .

– سوف تفهم بعد لحظة بدون شك .. أننى ذهبت الى كادموس .

كان ثورستون ويللر لا يزال هادئا ، وطوح برأسه الى الخلف ، كان له وجه من حجر ، كما لو كان يبحث عن الدفء الذى كانت للشمس لا تزال تنثره قبل ان تختفى وعندما تكلم كان صوته الجهير قد تغير كما لو كان قد اكتسب رنة غريبة خفيفة .

– كادموس ؟.. ولماذا ذهبت الى كادموس ؟..

– لنقل اننى فضولى بعد الحادث الذى تعرضت له زوجتك ووقوعها من السلم تملكنى الفضول نحو زوجتك الأخرى التى هربت .

– أظن انك أشبعت هذا الفضول الآن ايها الملازم ؟.

– أننى آسف ، فان الامر غير ما تقول ، أنى وجدت اشياء كثيرة لا تفسير لها وغموضا زائداً ولا أحب هذا ، فانه يثير اعصابى .. كل هذا الغموض يزعج نومى وقد خطر لى انك تستطيع ان تفسر لى بعضها وان تريح اعصابى ..

يبدو انك تشتبه فى اننى أذنبت بشئ مريع ايها الملازم ، ولا اريد ان احس فوق ذلك بأننى مسئول عن اقلاق راحتك .

– أشكرك ، هذه مكرمة كبيرة منك .. ولكن اذا اردت فسوف نفحص

الآن ما يمكن ان ندعوه بالصيغة الرسمية لاختفاء زوجتك الأولى .. وأبدأ فأقول انها لم تكن وفية لك وانها كانت تخونك من وراء ظهرك ..

وفي الوقت الذى اختفت فيه كانت تعاشر رجلا يدعى كليفورد سلون ولم يكن هذا سرا ، بل كان معروفا للجميع ولاشك انك أنت ايضا كنت تعرف ذلك ..

ولم يكن لسلون هذا أى نشاط ولا أى مطمع في الحياة لم يكن بالرجل الكفء ، ولم يكن يملك سيارة ولا أية ثروة من أى نوع ، وكان يعيش في غرفة واحدة فوق متجر الدخان ، لم يكن يملك من النقود الا ما يحصل عليه من هنا وهناك وذلك بالاشتراك في بعض الاعمال المشبوهة التى يقرها القانون ، صفوة القول انه كان رجلا تافها لا مستقبل له .. أتراني لخصت الموقف كما يجب ؟..

– لقد كان وغدا حقيرا ، ولن اتجادل معك في هذه النقطة .

– حسن جدا اذن ، نحن متفقان اذن حتى هذه النقطة اما زوجتك فقد كانت تعرف اين مصلحتها بالتأكيد ومع ذلك يقال انها هربت مع ذلك الرجل فهل تترك المأوى والمسكن والطعامَ وزوجا ينفق عن سبعة لكى تهرب مع شاب لا يستطيع انْ يقدم لها الا مايمكنها ان تجده في اى مكان ؟.. مع ذلك فهذه هي النظرية التى تبناها في التحقيق ، والتى انتهى اليها المحققون .

حسنا لنسلم بذلك فان النساء احيانا ما يكن سريعات التأثر ، ولا يمكن ان نتوقع منهم ان يقدمن على شئ معقول ، ومع ذلك فانني مازلت متشككا .

ربما اكون عنيدا بعض الشئ ومهما يكن فانني اود ان اعرف كيف دبرت زوجتك وصديقها امرهما لمغادرة مدينة صغيرة بدون سيارة ومن غير أن يلفتا الانظار اليهما ، هذا هو السؤال الذى ظل يلح على ، وكما قلت لك منعني من النوم ، وان لدى نظريتي الصغيرة طبعا ، فهل تحب ان اذكرها لك ؟..

– لا أرى اى فائدة من ذلك ، ولكن بما انك ستذكرها سواء شئت ام لم أشأ فتكلم .

– أشكرك.. أنت الذى اخرجتهما من المدينة يا مستر ويللر ، اخذتهما في سيارتك وخرجت بهما من المدينة في وسط الليل بعد ان قتلتهما ..

لم يكن ثورستون ويللر يبدو شارد النظر فى الظلمات المحيطة به الآن ، فقد خفض رأسه وراحت عيناه تحدقان فى الظلام ، ولم يعد صوته بأكثر من الهمس وقو يقول :

– هل انت مجنون ؟.

– اتعتقد ذلك ؟ لا أظن أنك غادرت البيت كعادتك فى صباح يوم الاثنين ٨ مارس سنة ١٩٦٥ ، لكى تقوم بجولتك ولكنك لم تذهب بعيدا فى ذلك اليوم كما هى العادة ، كلا ..انما عدت فى نفس الليلة وتحت جنح الظلام وتعانى من الخزى والعار وبسبب سخرية الناس منك ، وقتلت عشيقها لانه كان موجودا معها ، ولانك اضطررت الى قتله ، وعرضت نفسك لاخطار رهيبة ، فقد اضطررت ان تذهب الى غرفتك ومعك مفتاحه وان تعود من الحى ومعك حوائجه الخاصة لكى يتأكد انه غادر المدينة بمحض ارادته وكما قلت لك كانت هذه مجازفة كبيرة ، ولكن الحظ حالفك على طوال الخط ، فقد كان

الوقت متأخرا واقفرت الشوارع وسار كل شئ على ما يرام ، وعندما عدت الى بيتك نقلت جثة زوجتك وجثته إلي سيارتك واخذت معك كل حوائج زوجتك وجوائجه ثم خرجت بهدوء من المدينة وسار كل شئ على مايرام وعلى اكمل وجه ، كيف قتلتهما يا مستر ويللر ؟.. بالمسدس ؟ لا اظن فانه يصدر صوتها مزعجا .. بالخنجر ؟ لا أعتقد ذلك ايضا لانه يترك آثارا قذرة بالمطرقة ؟.. نعم طبعا فانها سلاح صامت ولا ينبثق عنها أى دم .. وكان الامر سهلا جدا لانهما كانا راقدين ، ولكن دعنا من هذه النقطة الآن .. فسوف نتأكد منها عندما نفحص الجثتين .

– آه .. نعم الجثتان ؟. . اين هما ؟.. اين الجثتان اذن ايها الملازم ؟..

كنت ارجو ان تقول لى ذلك ، فتجنبنا الكثير من العمل والازعاج ، ماذا لو قلت لنا ذلك ؟.

– ولكن حيث انه لا توجد جثتان ، فانني لا استطيع ان اقول اين هما..

– سنضطر الى الحفر في هذه الحالة ..

– الحفر ؟ .. اين ؟.

– ولماذا اين ؟.. ها .. فى مكان ما من الحديقة التى نجلس فيها الآن يا مستر ويللر .

ومن خلال الظلام الكثيف الذى يحيط بثورستون في ظلمة المكان ارتفعت ضحكة حادة ذات رنين خاص بحيث ان فولار المشهور بقوة اعصابه احس بالرعشة تسرى فى اوصاله ، وقال ثورستون :

– هذا امر مضحك ، لاريب انك اصبت بالجنون التام .

واقره فوللر وهو واقف مكانه . كان من الواضح ان ماركوس جانبه الصواب وانه سيواجه بعض المتاعب وقد احس فوللر بشئ من القلق من أجله فهو وان كان لا يهمه ان يرى ماركوس مخطئ الا انه لم يشأ ان يراه يطرد من عمله ،وكان ماركوس والحق يقال يسعى الى دماره بنفسه وبدون مبالاة .

وقال هذا الأخير :

- ليس هذا بالامر المستحيل .

واذا كان الامر كذلك فسوف يكلفنى الكثير ،ومع ذلك فسوف امضى الى النهاية ، اننى انا وفوللر ، نقوم بعمل اضافى ونريد ان نفرغ منه باسرع ما يمكن .

انك اشتريت هذا البيت يا مستر ويللر فى ٢ مارس سنة ١٩٦٥ ، اى قبل ان ترحل زوجتك باسبوع تقريبا وقد تحققت من ذلك من سجل بالمدينة . وقد اشتريت البيت فى هذه المدينة لانك قررت ان تقيم فيها تجارة لحسابك ولكى تخلق لنفسك حياة جديدة ..

حياة جديدة لا تشارك فيها زوجتك ابدا ، أنك كنت تكرهها وقد اردت ان تموت بسبب فجرها ، وبسبب ما فعلته بك . وقد اعددت بكل دقة وخططت لها من مدة طويلة وبعد ان قتلتها كما قتلت عشيقها جئت بجثتيهما هنا ..

فى هذا البيت الذى اشتريته .. والمسافة من كادموس الى هنا نحو مائة ميل تقريبا ، ولهذا فانك وجدت ما يكفى من الوقت لكى تقطعها قبل طلوع النهار ، ودخلت الجاراج واغلقت الباب وبقيت فى البيت طوال النهار ومع الجثتين ولم يرك احد وانت مقبل ولم يعرف احد انك موجود به وفى تلك

الليلة فى جوف الظلام حفرت قبرا ودفنت الجثتين معا ، كما وجدتهما معا عندما عدت الي البيت خفية فى الليلة السابقة ، وفرغت من عملك قبل طلوع النهار ، وابتعدت بعربتك وظللت تبيع الاحذية ونسيت امرهما وانت بعيد .. وفى الشهور التى تلت ذلك جئت علانية من وقت لآخر لكى تعنى بالبيت حتى اللحظة التي سويت فيها امورك ، وعدت لكي تعيش هنا نهائيا كما اردت ..

وفى اثناء ذلك اختفى كل اثر للقبر الذى حفرته فى الحديقة .

بدا الجو صامتا وثقيلا ، وتكثف الظلام بجوار السياج ، هناك حيث يجلس القاتل فى هدوء فوق الدكة .. ومن هذه الدكة تتأهب الى اذن فوللر تنهيدة طويلة وسمع ثورستون ويللر يقول :

إنك ذكى جدا ايها الملازم .

اجابه ماركوس :

– لست أنا .. انما هو فوللر كان هذا امرا لم يتوقعه فوللر بحيث انه أجفل كما لو ان نحلة لسعته ونظر الى ماركوس وقد نفر لفرط الدهشة واستطرد الملازم يقول :

– ان فوللر معه قطعة نقدية يعتبرها مجلبة للحظ ، ويحتضنها بكل حب ، لم يشأ انفاقها ابدا على الرغم من انه كان محتاجا الى السجائر ، وكان بحاجة ماسة الى التدخين ، وعندما سألته لماذا يضعها فى جيبه مع غيرها مادام يتمسك بها هكذا لأجابنى برد معقول .

فقال ان جيبه هو أكثر الاماكن امانا ، وقد فهمت ما يعنيه بقوله هذا ، فقد اراد ان يقول انها تحت يده وانه باستطاعته ان يتحقق من وجودها فى

جيبه كلما اراد ذلك ، وبداية من هذه النقطة ، ما هى أكثر الاماكن امامنا لاخفاء جثة قتيل أنك اذا دفنتها او خفيتها فى مكان ما فانك ستشعر بخوف دائم طوال حياتك ، كما لو ان هناك سيفا معلقا فوق رأسك باستمرار ، وستخشى ان يعثروا على الجثة فى أى وقت ، وان اكثر الاماكن الذى تنوى الاقامة فيه فانك بذلك تستطيع ان تراقبها ليلا ونهارا ، وان تحفظها بهذه الطريقة فى جيبك ، اذا جاز لى هذا القول .

خيل لفوللر عندئذ ان ماركوس استغله أسوأ استغلال ولكن الذى ازعجه بعد ذلك هو انه فقد تماما الكلمات التى نطق بها ثورستون ، وحتى ماركوس وجد مشقة كبيرة فى سماعها لان ويللر نطق بها فى هدوء شديد وبأس كبير .

- أنك أخطأت فى نقطة ايها الملازم ، فانى لم اجدهما معا ، سوف تجدها فى مكانين متفرقين كلا منهما فى ناحية .. جثة خلفك قليلا والاخرى تحت الشجرة .

***

ولم يحدث الانفجار الحقيقى فى عمل فوللر الا بعد ليلة طويلة من السهاد والارق ،عندما ادرك انه مازالت هناك مشكلة لا يجد لها حلا ، ونهض فجأة من فراشه الذى احدث صريرا مسموعا تحت وطأة ثقله ، والقى بساقيه خارج الفراش وبحث بقدميه العاريتين عن شبشبه ، وهو نفسه واجتاز البيت لكى يمضى الى المطبخ ، كان النوم قد تهرب منه حتى الآن ولم يعد يشعر بالرغبة فيه ، واعد القهوة ومضى الى غرفة الاستحمام حيث حلق ذقنه .

وبعد ذلك ولما كان قد صحا من نومه مبكرا فقد مضى الى المكتب وعلى الرغم من أنه كان مبكرا جدا الا انه وجد ماركوس قد سبقه الى المكتب ، فمضى إليه وجلس وقد ارتسمت على ملامحه أمارات الجدل وقال :

- عجبا كل العجب .. إنك اهتممت بالقضية التي لم تكن تعنينا في شئ .

أجابه ماركوس :

- ليس لهذا أية اهمية مادامت النتيجة واحدة .

- ولكن كان يسرني أن أعرف إذا كان ثورستون ويللر قتل زوجته الثانية ام لا .

قال ماركوس :

- لـك أن تتأكد أنه قتلها .. ضربها على رأسها ودحرجها من سلم القبو

ولماذا ؟.

- سؤال وجيه يا فوللر ، لو أنك تذكرت حديثنا السابق فانه لا يبدو أن هناك أي دافع ..

هل تعني أنه قتلها من عادته ان يقتل النساء فحسب ، لمجرد اللهو والتسلية ؟.

- ابدا .. الواقع أن وللر كان يحب زوجته الثانية وقد ندم لأنه قتلها .

- ولماذا قتلها إذن ؟

- لانها كانت تتكلم كثيرا .

- هذا يكفى ، قانون الاعداد الكبيرة مرة اخرى .

- كلا ولكننى كنت أعنى أن ثورستون ويللر كان يتكلم كثيرا .. أكثر من اللازم ، والمزعج فى الأمر هو أنه كان يتكلم أثناء نومه ، والمذنبون يرون أحيانا أحلاما متعبة ويحدث لهم أن يتكلموا فى صوت مسموع فى الوقت الذى تكون زوجاتهم مستيقظة ويسمعون ما يقولون ، وما سمعته ايتل كان كافيا لكى تفهم أن هناك شيئا مخبوءا فى الحديقة الخلفية ، وبجوار تعريشة الكروم وشجرة البلوط الخضراء ، وعندئذ تكلمت .. وكان كلامها أكثر من اللازم .. أخطأت خطأ لا يغتفر اذ سألت ويللر ، وهو صاحى هذه المرة ، عن أى شئ كان يتكلم وهو نائم ، وهذا امر محزن لايتل .

قال فوللر :

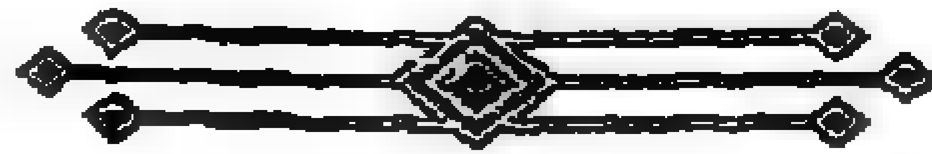
- على اللعنة .. كان الأمر بهذه السهولة اذن !.

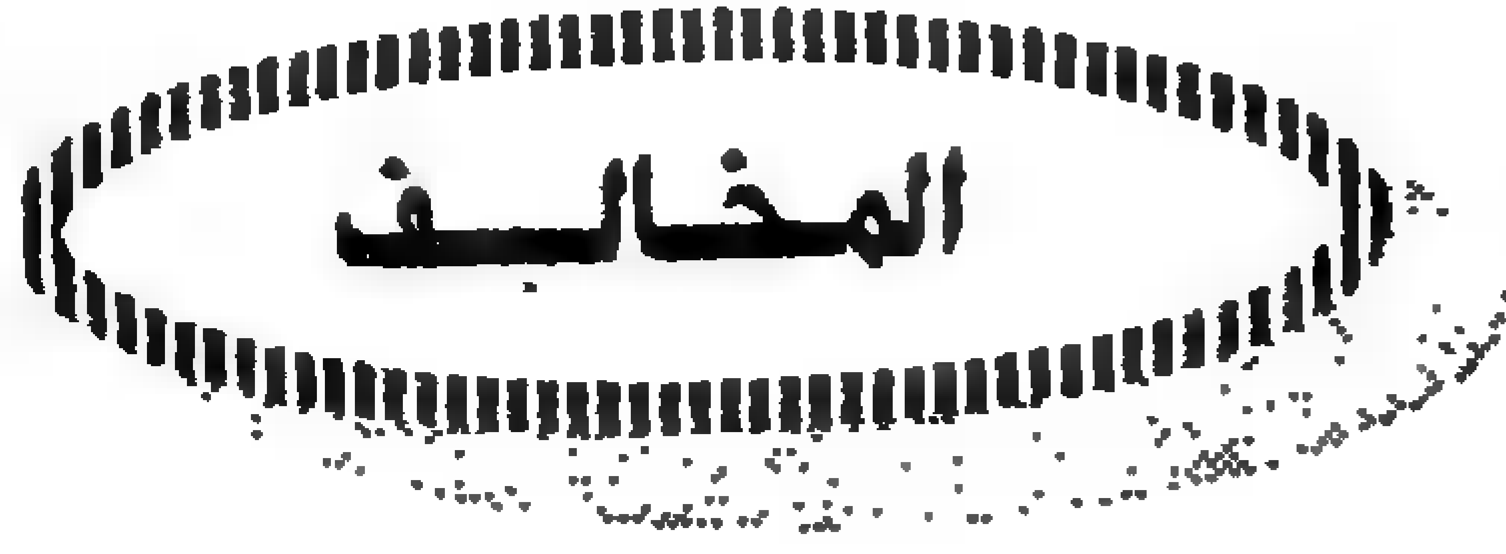
نعم كانت القضية سهلة جدا .

- لا تسايرنى .. إننى اعرف انك بذلت جهدا كبيرا .

اتى ماركوس بحركة من يده ، كالو كان يعتذر وقال :

- ليس هذا صحيحا يا فوللر .. إنما هى قطعة الخسمة والعشرين سنتا المجلبة للحظ التى قامت بالعمل الاكبر ..





المخالف

تحملت ، لمدة سنوات طويلة إهانات وتحقيرات روبيرت كريستي بكل صبر وجلد .

تحملتها دون أن أحتملها ، وقد جاءني الجلد لمعرفتي بأني سأقتله ذات يوم ، اما الصبر فقد تجملت به بالضرورة وهو ميزة أتحلى بها عادة وإليها الفضل في نجاحي .

يقول الكتاب المقدس :

– أعرف عدوك ، وقد كان لدى من الأسباب ما يجعلني أعرف عدوى ..

فقد عرفت روبيرت منذ أن كان صبيا صغيرا ، وكان أبغض رجل التقيت به ، وقد أخطأت الطبيعة بخصوصه ، وكان على أن أصلح هذا الخطأ .

كان روبيرت كريستي وهو في السابعة يبدو صبيا عاديا فقد كان يدهن شعره بالفازلين ويلمع حذاءه ، وعندما كبر وأصبح رجلا رماني بكل النعوت بما في ذلك كل يوم وأرفض أن أدفع مبلغا خياليا قدره دولار ونصف دولار لكي أقص شعري مرتين في الأسبوع وأنا أقص شعري عادة عندما أحتاج الى ذلك ، وأنا واثق كل الثقة بأن ما من أحد خطر له أن ينعت روبيرت

بالانتماء الى طبقة الخنافس بل كان هو ، على العكس من ذلك أول من رماني بهذه الصفة ، فقد قال لى ذات مرة وهو يدخل مرسمى من غير أن أدعوه :

- انظر الى نفسك ! .. انك لأشبه بالخنفس !..

وكظمت غيظى حتى لا أخنقه على الفور ، واشتد نفورى منه وازداد حنقى .

والنمطية إحدى آفات المجتمع الذى نعيش فيه ، وقد كان روبيرت كريستى مثال النمطية بكل ما فيها من معنى ، لكن هل كان روبيرت كريستى رجلا ؟ إنه كان أشبه بالآلة لأنه قضي حياته طوال الفترة التى عرفته فيها بدقة الساعة كان مواظبا دائما فى المدرسة ، فى حين كنت انا دائم التأخير ، وكان يبتسم متهكما عند توقيع العقاب على لم يتأخر فى حياته ولا مرة واحدة وهذه حقيقة لم يكن يمل من تكرارها لى .

شد ما كرهته من سويداء قلبي وقتئذ وقد ازادات كراهيتى له بعد ذلك على مر السنين ، فقد بدا لى أننى لا أستطيع الفرار من الدنيا التى يهيمن عليها هو ..

وقد حاولت كثيرا أن أحدس سره ، فقد كنت على يقين من أن له سرا وأتذكر أننى كنت أرى أحلاما كثيرة .. كانت كلها أحلاما عنيفة كان يضحك فيها على وكنت ألطمه بجمع يدى فيقع عند قدمى وتشج رأسه ، ولا ينكشف منها نافوخه أو دمه وإنما تنكشف منها عندئذ سلسلة من العجلات الصغيرة والتروس الدقيقة كما لو كانت ساعة سويسرسة ، وكان يضحك منى عندئذ فأفتح فمى لكى أصرخ وعندئذ أصحو من نومى .

ومن الممكن معرفة الرجل من عادته الأصلية ومن طعامه وربيرت كريستى يسير على وتيرة واحدة وبرنامج واحد لا يتغير وهو : الإفطار فى الساعة السابعة والربع ويتكون من بيضتين مسلوقتين وتوست وقهوة من غير سكر .

وفى الثامنة يغادر بيته ويستقل الاتوبيس الى محل عمله .

وفى الثامنة والنصف يصل الى محل عمله .

وفى الثانية عشرة تماما يتناول الغداء ويتكون من حساء وشطائر بالسمك والتفاح .

وفى الواحدة يعود الى العمل .

وفى الخامسة والنصف يغادر عمله ويستقل الاتوبيس الى بيته ..

وفى السادسة يتناول العشاء ويتكون من لحم وخضار وبطاطس ولا يذوق الفاكهة أبدا .

وفى التاسعة والنصف يأوى الى فراشه .

هذا هو عدوى روبيرت كريستى . ومن المحتمل أن يتنزه قليلا فى هذا المساء أو يختلف الى السينما ولكنه لا يزاول أى نشاط آخر . لا شئ غير العمل والاكل والنوم والعمل والاكل والنوم .. لم يكن أكثر من صفر .

- ولماذا تقول صفرا ؟..

لأنه نقيضا لكل شئ اعرفه ولكل شئ أؤمن به . كان يحيا حياة روتينية لا يعرف فيها حرية الاستمتاع او المسئولية ، لم يكن يعيش حياته بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

ولكن لم يكن في مقدوري أنا الآخر أن أعيش حياتي كما أريد وروبيرت كريستي قريب مني كنت موجودا دائما يذكرني بفشلي عندما افشل ، وكان يستخف دائما بما أنجز من أعمال . وعندما أقع صريعا على الارض كان يضحك ويقول إن هذا أنسب شئ لي .

وكان موجودا عندما هجرتني لورا ..

ورحت أعب الشراب عبا أسبوعيا كاملا لم أذق فيه أي شئ فيما عدا الخمر . وامتلأ المرسم الذي أزاول فيه عملي ووجدني روبيرت طريحا فوق فراشي الحقير .

وعندئذ ، بدأ وعظه لي .

– آه .. هذا هو نوع العمل الذي تجيده يا برادلي . هذا اذا كنت لا تزال قمينا بأن تدرك شيئا . قم ورتب نفسك وتخلص من أوهامك فأنت فنان . ابدأ حياتك من جديد ، إن الرجل الناجح هو الذي يعرف كيف يخلق ويبدع .

لم أقل شيئا ، فقد سبق أن سمعت كل ذلك من قبل ، أصغيت الى لومه وتعنيفه وأنا أفكر في لورا ، صديقته هو .

وأدركت عندئذ أن الوقت قد حان لكي أقتله ..

وكان لابد لي من بضعة أيام لكي أصحو تماما كان يجب أن أكون في كامل وعيي لكي أقدم على ما أريد .

فقد عزمت علي قتله ، وأردت أن يتم ذلك بطريقة تهين وتشينه وتشين كل مايرمز اليه .

وبعد ثلاثة أيام كنت قد استرددت وعيي تماما وتمكنت من أن أمسك

الموسى بأصابعى دون أن أرتعش .

وحلقت ذقنى ثم خرجت وقصصت شعرى واشتريت بدلة جديدة ونظرت الى نفسى فى المرآة بعد ذلك متهكما وناكرا الكذبة التى أراها أمامى والعلاقة التى تربطنى بها وفى المساء دعوت روبيرت .

وقد دهش للتغيير الذى طرأ على ، وطاب لى أن أري النظرة التى ارتسمت فى عينيه وهو ينظر الى عندئذ .

ثم ردد البصر حوله فقد كان المرسم نظيفا ومرتبا ..

ضحكت وقلت :

- ما كان يجب أن تدهش هكذا يا روبيرت لان هذا من عملك أنت فقد عقدت النية على العمل بنصيحتك ، إنك ترى الآن أمامك رجلا خلقته انت بحكمتك واجتهادك .

اختفت امارات الدهشة من عينيه وحلت محلها نظرة كلها غرور ، كان فى مقدورى ان اقتله فى تلك اللحظة لهذه النظرة بالذات ولكننى تحليت بالصبر لكى انفذ خطتى الأولى .

قلت فى لهجة عادية بقدر ما أستطيع ما رأيك فى كأس من الشراب ياروبيرت ؟.

كانت لحظة حاسمة ، فان روبيرت كان يتناول الشراب فيما ندر ، وإذا ما شرب فلا يشرب غير كأس واحدة .

ومهما يكن فان كأسا واحدة هى كل ما كنت أريد ..

- حسنا .. حسنا يابرادلى .. هذه مناسبة يجب الاحتفال بها .. كأس

واحدة .

وصببت له كأسا من الويسكى ، وراح يراقبنى بشدة ليتأكد من أنني لن أصب له المزيد وضرب كل منا كأسه بكأس الآخر .

– نخب رجل جديد .

– نخب رجل جديد .

وجرعنا كأسينا فى صمت ، وازدرد روبيرت كأسه سريعا كما لو كان الشراب واجبا اجتماعيا يجب أن يفرغ منه بأسرع ما يمكن ، وعندما أعاد كأسه مضيت به جانبا حيث يوجد حامل يغطيه غطاء .. قد أردت أن يلقى النظرة الأخيرة الى عملى كفنان ، وقلت وأنا أنظر اليه مليا :

– إننا نفيد دائما من أخطائنا .. هذا هو عملى الأخير .

وأزلت الغطاء ، وما كدت أفعل حتى صاح :

– آه ، ولكن هذه هى لورا .

قلت :

– نعم أنظر إليها جيدا فهذه آخر مرة تراها فيها وضربته عندئذ خلف أذنه بكيس من الرمل فوقع أمام صورتها كقربة من الماء .

ورحت أعمل سريعا ، كان المفروض أن يبقى غائبا عن رشده مدة طويلة لكننى لم أشأ ان أجازف بأن يأتى أحد فخلعت حذاءه الأيسر وكذلك جوربه ثم أخذت محقنا من الدرج وملأته بالويسكى .

وعندما فرغت وأعدت جوربه وحذاءه كان فى عروقه من الويسكى ما يكفى لقتله ، أما آثار المحقن فى عقبه فلن يلحظها أحد .

واستدعيت رجال البوليس .

وعندما أقبلوا كنت قد شربت من الويسكى ما فيه الكفاية لكى أبدو سكرانا بعض الشئ ، ومع ذلك فقد كنت محتفظا بكامل وعيى .. أعرف ما أفعل .

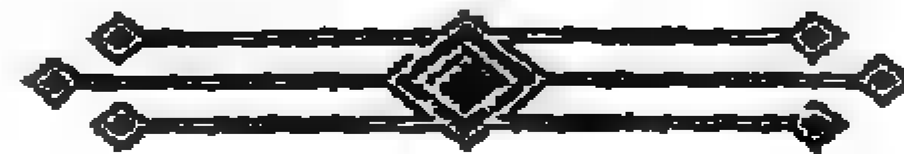
قلت لضابط البوليس فى انفعال :

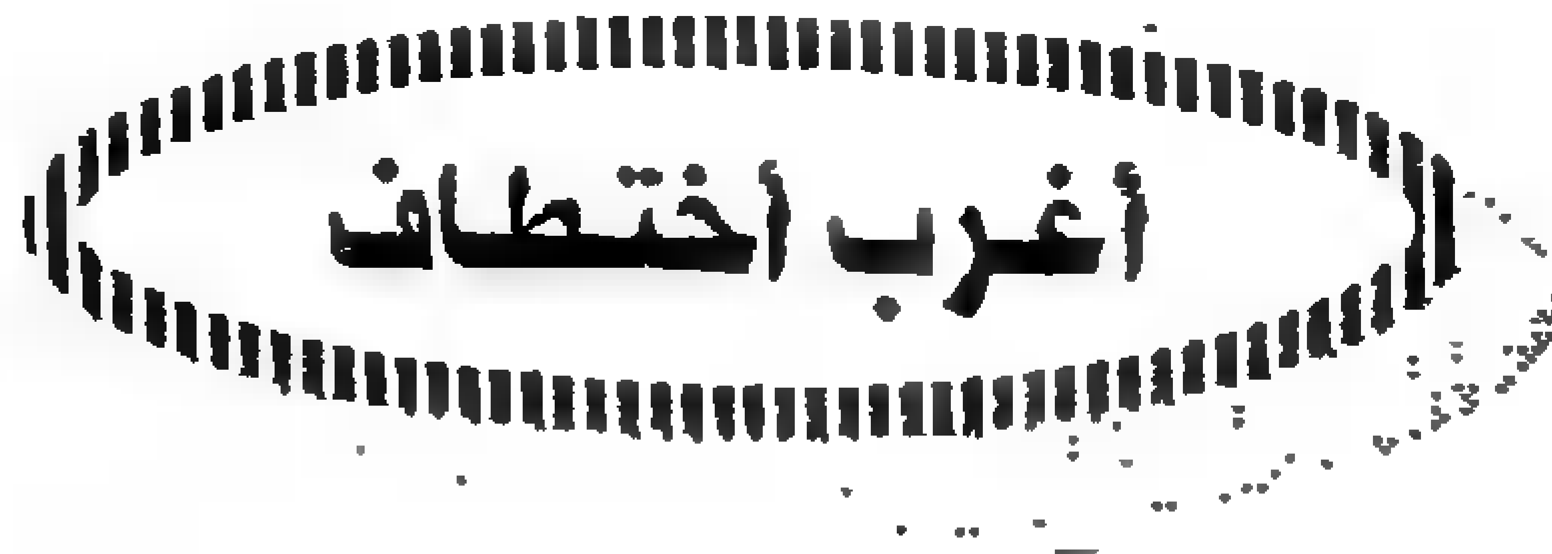
- إنه لم يستطع الصمود .. قراهنت معه على أنه لا يستطيع ان يشرب خمس الزجاجة فراهننى بأنه يستطيع وأخذ الزجاجة وأفرغها فى جوفه دون أن يتوقف ولكنه لم يلبث أن وقع صريعا ، لم أكن أظن أن مثل هذا الأمر سيقع له .

إننى امقت النظام والترتيب أكثر من أى شئ آخر وأكره على وجه الخصوص تقديم الطعام فى موعد واحد لا يتغير ومجئ الناس وانصرافهم كالساعة . كل شئ واضح وجلى كالبرنامج .. كلما فكرت فى ذلك أشعر بأن جسدى كله يأكلنى .. بل لعلنى ألبس جسد شخص آخر غيرى ..

انتهت المحاكمة ببيان واحد القاه ممثل الاتهام هل تريد منا أن نعتقد أن رجلا مريضا بالسكر يتبع نظاما خاصا منذ طفولته يراهن بحياته على زجاجة من الويسكى ..

تبا لهذه القضبان .. إنها ضيقة متلاصقة تكاد تحملنى على الجنون .





انقضا على كارول قبل منتصف الليل بدقائق ، وعلى بعد مائة وخمسين مترا من بيتها ، وما كان هذا ليحدث أبدا لو أن أباها تركها تأخذ السيارة ولكن لا يزال أمامها ستة أشهر لكى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ، والقانون صريح ولا يخول لمن لم يبلغ هذا السن أن يسوق السيارة ، وكان أبوها صارما فى هذه الناحية ويحترم القانون ، ولهذا اضطرت أن تستقل الأتوبيس ، وهبطت قبل البيت بمائتى متر ، وكانت قد قطعت نحو خمسين مترا عندما ظهر أمامها فجأة رجل طويل القامة ، نحيل الجسم وسألها عن الوقت .

وهمت ان تزجره وأن تقول له أن يمضى ويشترى ساعة عندما أحاط بها ذراع من الخلف ، ووضع أحدهما منديلا مبتلا على فمها وأنفها انبعثت منه رائحة نفاذة كرائحة المستشفى ، وسمعت أصواتا خافتة كانها تأتى من بعيد .

كان احدهما يقول :

– كفى ، فلا يجب ان تقتلها .

وأجابه صوت آخر يقول :

- وما الفرق اذا قتلناها الآن أو فيما بعد ؟ الأمر سيان .

- إذا أنت قتلتها الآن فإنها لن تستطيع أن تتكلم فى التليفون .

وكانت هناك كلمات أخرى ولكنها لم تسمعها فقد فعل الكلوروفورم فعله وتهاوت بين يدى الرجل وقد فقدت الرشد ..

وعندما عادت إلى وعيها أحست بدوار شديد فى بادئ الأمر وبضعف وغثيان وخيل له انها فى المستشفى ، ثم لم تلبث أن أدركت أن ذلك إنما هو تأثير الكلوروفورم ، وبدا لها كأن رأسها غارقة فى العرق وحاولت أن تتنفس فى هدوء وانتظام بقدر المستطاع .

وسمعت الصوتين السابقين ، كان أحدهما يؤكد للآخر أن كل شئ سوف يسير على ما يرام حسب الخطة الموضوعة ، وأن هذه الخطة لا يمكن ان تفشل ، وسمعتهما يذكران رقم ٧٥ ألف دولار اكثر من مرة ، ثم قال أحدهما :

- انتظر ساعة أخرى ، دعه حتى يستطير من القلق ثم تحدث إليه وقل له إن ابنته العزيزة بين أيدينا واذكر له الثمن ، وسندعه يغلى بعد ذلك ساعتين آخريين .

- ولماذا الانتظار ؟.

- لابد من الانتظار حتى يطلع الصباح على كل حال ، لأنه لا يمكن أن يكون لديه بالبيت مثل هذا المبلغ ،ولابد من ان ينتظر حتى الساعة التاسعة إلى أن تفتح البنوك أبوابها ، واذا نحن تكلمنا معه الآن على الفور فسوف

يستبد به القلق ويلجأ إلي البوليس . أما اذا انتظرنا فسيبقى على جمر من النار حتي الصباح . حيث يمكنه ان يمضى إلى البنك ويسحب النقود .

فتحت كارول عينيها فى بطء وفى حذر ، كان الذي يتكلم هو الرجل الطويل النحيف الذى سألها عن الوقت ، لم يكن وسيما كانت أنفه منحرفة وتميل إلى اليسار بصورة عجيبة بحيث يخيل لمن يراه أنه سبق أن انكسر ثم التحم بعد ذلك كيفما اتفق ، ولم تكن له ذقن تقريبا ، وقالت تحدث نفسها إنه كان من الأوفق أن يطلق لحيته ، لم تكن لتخفي دمامته ولكن كان من الممكن أن تلطف من شكله .

أما الآخر فكان أقصر وأكثر بدانه وأصغر سنا . لم يكن يكبر كارول بأكثر من عشر سنوات ، وكان عريض الكتفين متقارب العينين ، ولكنه لم يكن دميما وقالت تحدث نفسها إن شكله لا بأس به ، وأدركت من الحديث الذى تبادلاه معا أنهما اختطفاها ، وودت لو أن تضحك بصوت عال ، وقال الأصغر سنا :

– سوف نرى ذلك فيما بعد .

وقامت بدورها كما يجب تماما فرمشت بعينيها أكثر من مرة وتثاءبت وتمطت أو بالحرى حاولت أن تتمطى لأنها لم تستطع ذلك ، اذ رأت أنها موثقة اليدين خلف مقعدها ، وبدا لها الأمر عجيبا لأنه لم يسبق أن وثق أحد قيادها أبدا . ولم يسبق ان شغلت نفسها بهذا الأمر .

– آه .. اين أنا ؟..

وكان فى مقدورها أن ترد بنفسها علي سؤالها هذا ، فقد رأت نفسها فى كوخ حقير ، وخيل لها أنه من تلك الأكواخ التى تقع على الطريق العام ،

وذلك من أصـوات حركة المـرور التى تناهت إلى سـمـعـهـا ، فى الطرف الجنوبى للمدينة ،على كثب من الطريق العام برقم ١٣٠ بجوار النهر ، كان هناك عدد من أكواخ الصيد فى هذه المنطقة ، وقد تذكرت ذلك ، وكانت تستطيع أن تراهن على أنها موجودة فى أحد هذه الأكواخ..

وقال الرجل النحيف :

- الزمى الهدوء يا كارول إذا بقيت عاقلة فلن ينالك سوء .

- هل اختطفتمانى ؟.

- الزمى الهدوء فحسب .

أخذت تصرخ فرحا وقالت :

- هذا فظيع .. هل اختطفتمانى حقا .. ولكن هذا عظيم هل تحدثتما مع أبى فى التليفون ؟.

- كلا .

- هل ستتركانى استمع إلي الحديث عندما تتصلان به ؟..(وضحكت ضحكة قصيرة) ، اننى على استعداد لكى ادفع الكثير لكى أرى وجهه عندما يسمع ذلك ، سوف يصاب بصدمة لن يفيق منها ابدا .

حدق كل منهما فيها وقد فغر فمه ، وقال الأصغر :

- كأنك سعيدة بما حدث ؟.

- سعيدة ؟.. بل إننى فى منتهى السعادة .

- ولكنه أبوك !.

استطردت تقول :

– أرجو أن تحصلا منه على اكبر مبلغ ، فانه أشد الرجال بخلا على الأرض ، كم ستطلبان منه ؟.

قال النحيف :

– لا شأن لك بهذا .

– ولكن كل ما أرجوه أن يكون المبلغ كافيا ، فان فى مقدوره ان يدفع الكثير .

ابتسم الرجل النحيف وقال :

– ما رأيك في خمسة وستين ألف دولار .

– انه ليس بمبلغ كاف . ففي مقدوره ان يدفع أكثر ،انه ثرى جدا وان كان لايبدو عليه ذلك من الطريقة التي ينفق بها ماله .

– خمسة وسبعون ألف دولار اذن ؟.

هزت رأسها وقالت :

– فى مقدوره ان يدفع اكثر .

– ليس المهم ان يكون ذلك في مقدوره ام لا وانما المهم ان يتمكن من الدفع فورا . يجب أن نفرغ من كل هذا غدا صباحا .

فكرت لحظة ثم قالت بكل وقاحة :

– كأنى بكما تمضيان إلى حتفكما .

اقترب الرجل القصير منها وقال :

- ماذا تعنين .

قال زميله :

- لا تهتم بما تقول ياراى .

- كلا أريد أن أعرف ، ماذا تعنين يا جميلتى . رفعت عينيها إليهما وقالت :

- حسنا لا أظن أننى يجب أن أقول لكما ما يجب أن تفعلاه ، فأنتما المختطفان ، وأنتما اللذان تواجهان كل الأخطار ، واذا ما ألقى البوليس القبض عليكما فسوف تلاقيان أوقاتا عصيبة بلا شك .

قال النحيف :

- الكرسى الكهربائى .

- هذا ما خطر لى ، وعليه فانه ليس فى نيتى ان أقول لكما ماذا يجب أن تفعلا . ولكن خطر بذهنى شئ .

- وما هو ؟.

- حسنا أول كل شئ لا أظن أن من الخير أن تنتظر حتى الصباح ، فهناك شئ لا تعرفانه وهو أنه ليس مضطرا إلى الانتظار حتى تفتح البنوك أبوابها ، فهو طبيب ويتقاضى أجره فى أغلب الأحيان نقدا ، وهو لا يودع النقود التى يجمعها بهذه الطريقة البنك ولا يسجلها فى دفتر حساباته وانما يودعها خزانته التى يحتفظ بها فى قبو المنزل .

- وماذا عن الضرائب ؟.

- إنه لا يسجلها فى دفتر حساباته تهربا من دفعها وقد سمعته يقول

لصديق له إنه يحتفظ فى خزانته دائما بمالا يقل عن مائة ألف دولار ، وعلى ذلك فلا حاجة بكما إلى الانتظار حتى تفتح البنوك أبوابها ، كما أنه لا حاجة بكما إلي الاكتفاء بخمسة وسبعين ألف دولار لانه يمكنكما أن تطالباه بمائة ألف وان تحصلا على هذا المبلغ بكل سهولة .

نظر المختطفان إليها ثم تبادلا النظر ثم عادا ينظران اليها من جديد وقالت :

– مهما يكن فإنني أحاول أن أقدم لكما خدمة .

– لا ريب أنك تكرهينه جدا يا صبية .

– أرى أنكما فهمتما .

– هل يسئ معاملتك ؟.

قالت :

– عندما أفكر أنه يملك كل هذا المال ويبخل على بسيارة ، إننى اضطررت إلى ركوب الأتوبيس الليلة ، ولولا ذلك ما تمكنتما من اختطافى ، فهو اذن السبب فيما حدث ، وما دمتما قد اختطفتماني فلماذا لا يدفع كل هذا المبلغ ؟.

قال القصير :

– إنها صبية عجيبة يا هووى .

أومأ هووى برأسه وقال :

– هل أنت واثقة من المائة ألف دولار ؟.

– سيحاول اكتساب بعض الوقت طبعا ، ويزعم أنه لابد له من مهلة لجمع مثل هذا المبلغ .

– قولا له عندئذ أنكما تعرفان ماذا يوجد فى الخزانة ؟.

– ربما ..

استطردت تقول :

– وبهذا لن يلجأ إلي البوليس لأنه لم يبلغ الضرائب بهذا المبلغ ، وسوف يحرص على أن لا يعلم أحد بذلك ولن يجد بدا من الدفع .

قال راى :

– كأنك أنت التى وضعت هذه الخطة بنفسك يا صبية ..

– تقريبا وطالما فكرت في الضجة التى تحدث لو انني اختطفت (وراحت تضحك) ، ولكن لم يخطر ببالى أبدا أن ذلك سيتحقق يوما ما ، هذا جميل

قال هووى :

– أظن أننى سأتصل به الان ، سأعود بعد نصف ساعة تقريبا ، سوف يعنى راى بك ياصبية .

وهز رأسه ومضى .

كانت تتوقع ان يمضى هووى بالذات للاتصال بأبيها ، وقد سرها أن هذا ما حدث ، فقد بدا لها أسلس قيادا من الاثنين ، ولم يكن ذلك لأنه أصغر سنا وأجمل فحسب ، وإنما لأنه كان يبدو أكثر سذاجة وأقل ذكاء من الاخر وقال الشاب عندئذ :

– ما كان هذا ليخطر لنا أبدا ، أعنى أننى لم اكن اتوقع ان تختطف فتاة

وان تتعاون معنا بذلك .

– هل سبق ان اشتركت في مثل هذا الأمر يا راى .

– كلا .

– لا ريب انه أمر فظيع .

– أوه أظن انه بسيط ، فإننا نجمع بهذه الطريقة نقودا أكثر من تلك التى نجمعها بواسطة السطو على المتاجر أو البنوك ، ولكن أخطر شئ هو لحظة الاستيلاء على الفدية فلابد لنا ان نحصل عليها دون ان يفتضح أمرنا ، وفيما عدا ذلك فان الأمر اسهل ما يكون .

– وبعد ذلك ؟.

– ايه ؟.

كانت راحتاه مبتلتين من العرق ، وقالت :

– ماذا سيقع بعد ذلك ؟ هل ستتركانى انصرف يا راى ؟.

– أوه ، طبعا .

– ألن تقتلانى ؟.

– أوه ، لا تكوني حمقاء .

كانت تعرف تماما ماذا يعني بقوله هذا ، كان يريد ان يقول :

– لا تشغلى بالك بهذا الأمر يا صبية ، سوف نقتلك طبعا ، فما عسانا نفعل غير هذا ؟.

قالت :

– اننى استمتع اكثر وانا على قيد الحياة .

– يخيل لى ذلك .

– خير لك ان تتحقق .

اقترب منها فرفعت كتفيها لكى تبدو مفاتنها ويبرز نهداها الممتلئان وابتسمت له ، وجلس امامها وأخرج من جيبه مسدسا أسود يبرق وتظاهر بأنه يصوبه نحوها بين عينيها ، ثم راح يخفضه شيئا فشيئا ، أخيرا ضحك ضحكة عصبية ، وألقى بالمسدس وراح يحدق بعينيه فى فخديها ويتأمل اللحم العارى فيما بعد الجورب ، وتحملت نظرته الفاحصة فى غير غضب وفى هدوء دون ان تغير من وضعها ، وبعد لحظات نهض وانحنى فوقها وقبلها قبلة طويلة ، وألقى بيديه فوق صدرها ،، فتمتمت تقول :

– تكون المتعة أفضل لو أنك فككت قيدى .

– ليس على الفور .

توترت شيئا ما حين فهمت ما يعنيه بقوله هذا ثم تركته يفعل ، وبعد بضع دقائق اضطر ان يفك قيدها ، وفيما بعد ، وبينما ترتدى ثيابها أصر على أن يوثق يديها من جديد فقالت :

– ولكننى لن أحاول الهرب .. انت تعرف تماما أننى لن أفعل ذلك .

قال فى إصرار :

– لن يروق هذا لهووى .

وانتهت المناقشة عند هذا الحد ، وتوسلت اليه قائلة :

– ولكن ارجوك ان لاتشدد الضغط .

ولم يشتد الضغط .

وعندما عاد هووى كان يبتسم ابتسامة عريضة ، وأغلق الباب .. وأدار المفتاح واشعل سيجارة وقال وهو ينفث سحابة من الدخان .

– ما كان أسهل ذلك ، تم كل شئ بسهولة فائقة وهذا خير لك يا بنية .

– ماذا قال ؟.

– أوشك ان يفقد وعيه فى بادئ الأمر ، ولم يكف عن التوسل بأن لا نؤذيك ، مؤكدا انه سيدفع ما نريد اذا اطلقناك ، ولم يفتأ يقول كم يحبك وهكذا .

راحت تضحك ثم قالت :

– هذا عظيم .

– وكنت على حق بخصوص الخزانة ، بدأ يتباكى ويقول إنه لن يستطيع أن يجمع مائة ألف دولار هكذا ، فى مثل هذا الوقت القصير ، فحدثته عن الخزانة عندئذ وقلت له إننى أعرف أنه يحتفظ فيها بملبغ كبير ، وأحدث قولى هذا تأثيره وبدا حائرا جدا وخيل لى انه أغمى عليه .

– وهل سيدفع المبلغ كله ؟.

– بدون أية صعوبة ، وإذا كان هذا كل ما يملك فان ذلك يكون خيرا وأفضل فان أرقام الأوراق المالية لم تسجل ثم إنه ليس فيها أوراق من فئة كبيرة ولا أوراق جديدة تتابع أرقامها ، ومعنى هذا أننا لن نضطر إلى بيعها لرجال عصابات الشمال بأربعين فى المائة من قيمتها ، سوف نتمكن من إنفاق المبلغ كله دون اية صعوبة .

قالت كارول :

– وسيخشى أن يلجأ إلى البوليس ، هل اتفقتم على طريقة تسليم النقود

– كلا قلت إننى سأتحدث إليه بعد ساعة ، ولكننى أستطيع أن أفعل بعد نصف ساعة ، أظن اننا تغلبنا عليه تماما ، لقد نجحت العملية بسهولة بحيث إننى أشعر بشئ من القلق ، وأود لو أن نفرغ منها بأسرع ما يمكن .

بقيت الفتاة صامتة لحظة ، كان هووى يريد الفراغ من العملية دون أن يترك شيئا للصدف بدون شك ، سوف يهتم بها أيضا لكى يفرغ من الأمر كما يجب ومعنى هذا أنه سيفك قيدها ، ثم يفعل المسدس الأسود عمله بعد ذلك .

وحدقت فى المسدس ، وتخيلت الضجة التى ستصدر منه والرصاصة عندما ترتطم بجسدها ، كانت مذعورة ولكنها حرصت على ان لا ينم وجهها أو صوتها عما يعتمل فى نفسها وقالت فى غير اكتراث :

– والمال ؟.. كيف سيتم تسليمه .

– وهذا هو الشئ الوحيد الذى يزعجنى بالذات .

– لا أظن انه سيلجأ إلى البوليس ، لن يفعل شيئا من ذلك ، لا أظن أنه سيجد الجرأة لكى يفعل ذلك ، ولكن اذا حدث وفعل ذلك فسوف يحاول البوليس القبض عليكما .

– وهذا ما سوف يحدث بلا ريب .

فكرت لحظة ثم قالت :

– لو اتفق وكنا فى أى مكان على مقربة من الطرف الجنوبى للمدينة

فإنني أعرف مكانا يصلح .. ولكن أظن أننا نبعد بكيلو مترات طويلة .

- أى مكان ؟.

قالت لهما إنها تعنى الجسر الصغير القائم فوق الطريق رقم ١٢٠ المؤدى إلى الطريق العام ، وانه يمكنهما ان يأتيا بأبيها حتى ذلك الجسر ويلقى بالنقود من فوقه عند مروره به ، وينتظران هما تحت الجسر ويلتقطانها ، واذا حدث وكان معه بعض رجال البوليس فانهم سيجدون أنفسهم محصورين فوق الجسر العلوى ويتمكنان عندئذ من الهرب بكل هدوء .

قال راى :

- هذه فكرة لا بأس بها .

وقال هووى :

- عظيم ، وهل اهتديت إلى هذا بمفردك ؟.

- آه ، إننى استعرت الفكرة من فيلم سبق لى ان رأيته .

قال هووى وهو يتنهد :

- لابأس من أن نحاول على كل حال كنت قد فكرت فى خدعة أخرى ، خطر لى أن أحمله على ان يضع النقود فى صندوق قمامة ثم يمضى ونذهب نحن بعد ذلك ونلتقطها ، ولكننى كنت أخشى ان يحاصر رجال البوليس المكان .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال :

- ان لك افكارا مدهشة يا صبية ، وهذا أمر يدعو إلى الأسف .

– ولماذا ؟.

– لأنه كان يجب ان تنضمي إلى عصابتنا ولك مثل هذه الأفكار النيرة كان في مقدورك أن ترسمي لنا خططا رائعة .

ولكن لم يكن هذا ما أراد أن يقول ، وانما كان يعني أن يقول إن مما يدعو إلى الأسف هو أنني سأضطر إلى قتلك .. هذا هو ما كان يعنيه ، إنك ماكرة ومتعاونة جدا ، بل إنك فتاة جميلة ، ولكننا سنقتلك مع ذلك برصاصة بين عينيك ،وهذا أمر يدعو إلى الأسف .

تخيلت أباها ينتظر بجوار التليفون ، اذا لجأ إلي البوليس فإنها هالكة لا محالة ، وكان حريا بأن يلجأ اليه ، ولكن إذا أستطاعت أن تمنعه من ذلك وإذا تأكدت ان الفدية ستسلم طبقا للخطة الموضوعة فربما تجد فرصة – لن تكون أحسن فرصة في العالم ولكنها أحسن من لا شئ على كل حال.

وعندما قال هووى أنه سيتصل بأبيها المرة الثانية طلبت منه أن ترافقه وتوسلت إليه قائلة :

– دعني اتحدث إليه ، أريد أن أسمع صوته ..اريد ان اعرف كيف هو وسط هذا الذعر .. إنه بارد الطباع دائما ، وراض عن نفسه ورابط الجأش أريد ان أعرف كيف يكون وهو ثائر الأعصاب .

– لا ادرى اذا..

استطردت تقول :

– سأقنعه بأنكما شديدا الخطر وسأقول له (وضحكت من جديد) ، إنني أعرف انكما ستقتلاني اذا لم يشأ مساعدتنا وإنني واثقة انكما

ستتركانى أعود إلى البيت رأسا بمجرد ان يدفع الفدية وطالما بقى البوليس بعيدا عن المسألة .

– حسنا .. ولكنى لا أرى .. ان قولك هذا سليم ويمكن ..

قال راى :

– إنها فكرة طيبة يا هووى ، وسيعرف بهذا انها فى قبضتنا حقا وانها مازالت على قيد الحياة أظن ان الصبية على حق .

ودار نقاش قصير ، واقتنع هووى أخيرا بصواب هذه الطريقة ، وفك راى قيدها ، وركبت ثلاثتهم سيارة هووى ومضوا حتى التليفون ، وقام هووى بالحديث وتكلم بضع دقائق فشرح كيف وأين يجب أن تسلم الفدية ، ثم ناول السماعة لكارول فقالت باكية :

– اوه بابا .. بابا .. انا خائفة .. بابا افعل ما يقولون لك ، إنهم اربعة ولن يترددوا أمام شئ ، وهم يخيفوننى ، أرجوك .. اعطهم النقود يا بابا ان المرأة قالت انه اذا تدخل البوليس فسوف يذبحوننى بالسكين .. قالت انهم سيقتلوننى ..اننى خائفة جدا يا بابا .

وعندما عادوا إلى الكوخ ، وبينما كان هووى يوثق يديها خلف المقعد سألها يقول :

– ما هذه القصة عن الأشخاص الأربعة والاشارة إلى المرأة ..

– خطر لى ان ذلك سيكون له تأثيره .

– كان له تأثير طبعا ، ولكن ما الفائدة .

قالت :

– حسنا كلما زادت أهمية العصابة كلما بدا خطرها أعظم ، واذا اتفق ولجأ إلى البوليس فيما بعد فسوف يبحثون عن ثلاثة رجال وامرأة ، وهكذا يمكنكم الأفلات ، وسأذكر لهم طبعا أربعة أوصاف كاذبة يسهل عليكما الفرار .

وكانت ترجو ان يكون لذلك تأثيره ، فانها ما كانت لتستطيع ان تذكر اوصافا كاذبة الا اذا تركاها على قيد الحياة ، وكانت ترجو أن يفهماها .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة صباحا تقريبا عندما خرج هووى لكى يأتى بالنقود وقال :

– يجب أن أعود بعد ساعة تقريبا ، أما إذا مضت ساعة ولم أعد فمعنى ذلك ان الأمور تكون قد ساءت وتكون قد وقعت مشاكل .

سأله راى :

– وماذا أفعل عندئذ ؟.

– انت تعرف جيدا ما يجب ان تفعل .

– اعنى كيف أمضى من هنا ، ان لدينا سيارة واحدة وهى معك .

– غادر المكان على قدميك اذن أو ابق مكانك حيث انت لا حاجة بك لأن تشغل نفسك من أجلى فهم لا يمكن أن ينالونى إلا وأنا جثة هامدة ، ولا تخش ان يكتشف أحد المكان الذى أخفيناها فيه ، اهتم بالعصفور ثم امض على قدميك .

– لن يقع ما يزعج .

– اظن انك على حق ، سيمر كل شئ على ما يرام .. ولكن لا يمكن ان

ندرى ، هل المسدس معك ؟.

– انه على المنضدة .

– يجب أن تبقيه معك .

– نعم ، قد يكون هذا أفضل .

– يمكنك ان تنتظر عودتى فى حدود ساعة على الاكثر ان نصف ساعة كافية تماما ، ولكن يجب أن تنتظر ساعة إلى اللقاء .

صاحت كارول :

– أتمنى لك التوفيق .

توقف هووى ونظر إليها، وارتسم على وجهه تعبير عجيب ، وقال أخيرا :

– نعم إننى بحاجة إلى تمنياتك لى بالتوفيق .. شكرا لك .

وعندما اختفى هووى قال راى :

ما كان ينبغى ان تتكلمي فى التليفون أبدا .. أعنى .. أظن انها كانت فكرة طيبة طبعا ولكن هووى هو الذى قيدك بعد عودتنا وقد شد الضغط ولكن لو أننى انا الذى قيدتك لارخيت القيد إنه لا يرى الأمور كما أراها أنا (وبدا أنه يفكر) .. انه رجل غريب الأطوار .

لابد أن يؤدى كل شئ كما يجب ، هل تفهمين ما أعنيه ، انه لا يترك شيئا للصدفة ابدا .

– هل يمكنك أن تفك قيدى ؟.

– آه .. لا ادرى اذا كان يجب ان أفعل .

- يمكنك ان تخفف الضغط على الأقل فانني أشعر بأن يدى منملتان وأحس بألم شديد ..من فضلك .

- حسنا . أظن انني أستطيع .

وفك وثاقها .. وما ان تحررت حتى اسرع إلى المنضدة وأخذ المسدس ودسه تحت حزام بنطلونه وقالت تحدث نفسها :

- إنني اروق له ، يريد ان يخدمني وليس في نيته على الخصوص ان يقتلني ، ولكنه لا يثق بي ، انه عصبي ولا يمكن ان يثق بأحد .

سألته :

- هل أستطيع أن أدخن سيجارة ؟.

- آه ، طبعا .

وأعطاها سيجارة واشعلها لها ، وراحا يدخنان معا بضع دقائق في صمت ، وقالت تحدث نفسها :

- إن الأمور لا تمضي كما اشتهي .

لقد حملته على ان يثق بها ولكن لم يكن هذا كافيا ، فقد كان هووى هو العقل المدبر ، وسيكون من رأيه ان يقتلاها وتساءلت من منهما سيطلق عليها الرصاص .

- كارول ..

- نعم ـ

- اوه لا شئ .. لا تراعى .

ادركت أنه يريد ان يثير الموضوع فقالت :

– اسمع ياراي اريد أن أقول لك شيئا ـ اننى احبك كثيرا ، ولكن اذا أردت الحقيقة فإننى خائفة من هروى .

– أصحيح ما تقولين ؟.

– اننـى كنت صريحة معك ، وأظن أنك أنت الآخـر كنت صريحا معى ياراى ، وانت عاقل بما يكفى لكى تعرف ان من مصلحتك ان تدعنى انصرف .

كانت تعرف أنه لا يتمتع بذرة من العقل ولكن المجاملة اتت بثمرتها وعادت تقول :

– ان هووى يختلف عنك ، وأنا أعرف أنه يريد ان يقتلنى .

– أوه ، كلا .

– بل اننى واثقة يا راى .

وأمسكته من ذراعه واستطردت :

– اذا بقيت على قيد الحياة فإن أبى يقول شيئا ، بل انه يمكن ان يتغاضى عن النقود ولكن اذا قتلتمانى .

– أعرف ذلك ـ .

– ما رأيك فى ان تدعنى انصرف .

– بعد أن نفرغ من الأمر ؟.

هزت رأسها وقالت :

– بل الآن ، قبل أن يعود هووى ، انه لن يهتم بأى شئ عندئذ لأن المال سيكون معه . دعنى أمضى وعندما تحصلان على النقود يمكنكما أن تغادرا المدينة ولن يعرف أحد شيئا أبدا ، وسأقول لأبى انكما اخليتما سبيلى ، وسيغتبط برؤيتى ولكنه لن يتكلم خوفا من الضرائب . اليس كذلك يا راى ؟.. قبل ان يعود هووى فكر لحظة طويلة ، وأدركت انه لن يمانع ابدا ولكنه قال :

– لا ادرى .. ان هووى سيقتلنى عندئذ .

– قل له إننى امسكت بشئ وضربتك به ، ففقدت رشدك .. قل إنه لم يقيدنى كما يجب وانى حررت لن يبالى مادامت النقود معه .

– لن يصدق انك ضربتنى .

– ولكن لنفرض ان اضربك حقا ؟.. ليس بقوة وانما ضربة خفيفة بحيث تترك أثرا لكي يكون دليلا .

ابتسم فجأة وقال :

– طبعا يا كارول انك كنت ظريفة معى فى المرة الأولى عندما مضى لكى يتكلم فى التليفون . كنت ظريفة حقا يا كارول .. سأقول لك شيئا ان فكرة قتلك كانت تؤرقنى ، وانت على صواب فيما يتعلق بهووى اضربينى خلف اذنى . ولكن ضربة خفيفة طبعا .

وأعطاها المسدس ..

وأخذته منه وأدارته فى يدها ووضعت اصبعها على الزناد وصوبته إلى قلبه . وجحظت عيناه وفغر فمه ، ونظر إليها مصعوقا دون أن يسعفه النطق

وأطلقت رصاصتين على صدره فوقع يتخبط فى دمه .

وعندما توقفت سيارة هورى كانت على أتم الاستعداد ، كانت تنتظر خلف الباب والمسدس فى يدها .

وانفتح باب السيارة وقع قدميه على الحصى ولم يلبث ان فتح الباب وهو يصيح فرحا بأن كل شئ سار على ما يرام ، ثم رأى جثة راى فوق الأرض فاستدار بسرعة خاطفة ، وعندما رأى المسدس فى يدها فتح فمه لكى يقول شيئا ولكنها عاجلته باطلاق الرصاص ، وأفرغت المسدس فيه .. أربع رصاصات الواحدة بعد الأخرى ، أصابته كل منها فى مقتل .

وأخذت منه الحقيبة قبل أن يلوثها الدم .

ولم يكن الباقى صعبا ، فقد أخذت الحبل الذى استخدم فى قيد يديها وراحت تحكه على قاعدة المقعد حتى استهلك تماما ، ووجدت خلف الكوخ مخزنا لأدوات الصيد والمعدات المختلفة أخذت منه معولا وحفرت حفرة عميقة دفنت حقيبة النقود ثم سدت الحفرة ، ومضت بالمسدس إلى حافة النهر ومسحته لازالة بصماتها من عليه ثم طوحت به فى الماء .

وأخيرا ، وعندما مر من الوقت ما رأته مناسبا أخذت تمشى حتى لقيت كشكا للتليفون .

قال لها أبوها :

- ابقى حيث أنت .. سآتى لكى أصحبك .

- أسرع يا أبى ، فاننى خائفة .

وجاء لاصطحابها ، وكانت ترتجف ، رضمها بين ذراعية وراح يهدئ من

روعها .

قالت :

– كنت خائفة جدا ، وعندما عاد الرجل ومعه الفدية أخرج الآخر مسدسا وقتله كما قتل الرجل الثالث كذلك ثم هرب مع المرأة ، وكنت واثقة أنهما سيقتلانى أنا الأخرى ، ولكن الرجل قال إنه ليس هناك داع للخوف وان المسدس فارغ ، وانه لم تعد هناك أية أهمية الآن ، وأرادت المرأة أن تقتلنى بالسكين ولكنها لم تفعل ، وقد خشيت ان تفعل ، أوه يا أبى ..

قال :

– لقد انتهى كل هذا الآن ، لا تخافى ..

وأرته الكوخ والقتيلين والحبل ، وقالت :

– لقد قضيا وقتا طويلا قبل ان أتمكن من التخلص من قيدى ، رايتهم كيف يفعلون فى الأفلام ، ولم يكن القيد متينا .

– انت فتاة شجاعة يا كارول .

وفى طريق العودة قال :

– لن ابلغ البوليس فلا اريد أن اعرضك لاستجوابات فظيعة لا طائل منها ان عاجلا وان آجلا سيجدون القتيلين فى الكوخ ، ولكن لا شأن لنا بهما سيجدون شقيين ميتين وسيسرهم أن عدد المجرمين قد نقص اثنين .

وفكر لحظة ثم قال :

– واذا أردت الحق فإننى سأجد صعوبة فى ان أفسر لهم من أين أتيت بالمال .

- هل طلبوا منك كثيرا .

- عشرة آلاف دولار فقط .

- ظننت انهم طلبوا اكثر .

- حسنا ، عندما قلت لهم اننى لا أملك فى البيت غير هذا المبلغ اضطروا أن يقتنعوا به .

قالت :

- آه .

وقالت تحدث نفسها :

يالك من كاذب إنك دفعت لهم مائة ألف دولار وهى ملكى الآن .. ملكى أنا .

- ان عشرة آلاف دولار مبلغ جسيم .. اعنى انها خسارة كبيرة لك .

- ليس لهذا أهمية .

- اذا أبلغت البوليس فقد يفلحوا فى استردادها .

سرت فى بدنه رعشة فى حين تغلبت هى على ضحكة .

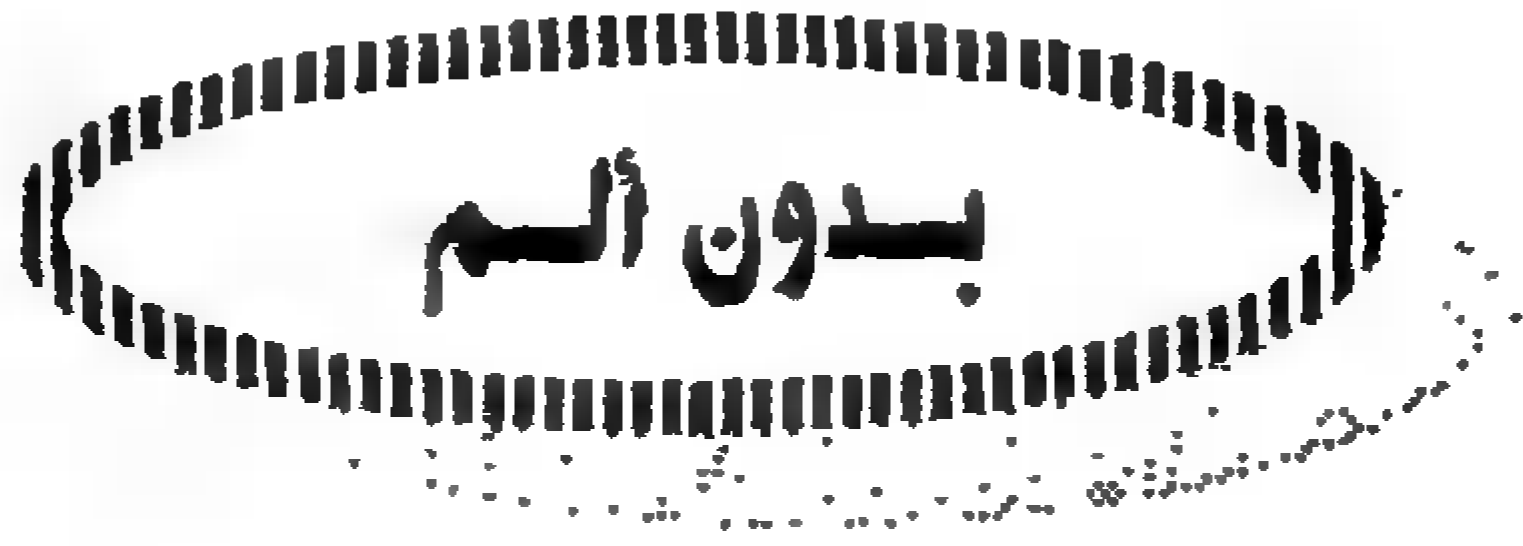
وقال :

- ليس لهذا أهمية ، ان الشئ الوحيد المهم هو اننى استعدتك سليمة سالمة ، وهذا أهم عندى من كل مال العالم .

هتفت :

- أوه بابا .. أوه .. شد ما أحبك !.





بــدون ألــم

" يدعى أطباء الاسنان أنهم توصلوا الى طريقة لخلع الاسنان بدون ألم ومع ذلك فإننى مازلت أنظر الى مقاعدهم ومعداتهم التى يستخدمونها فى الخلع فى خوف وجبن "..

ذهب مارفن جيلر الى عيادته صباح يوم الاثنين وبه إحساس بأنه يعيش حياة كئيبة رتيبة ، وكان قد حضر فى مساء أمس حفلة حضرها معه رحالة مستكشف وممثل ورقيب بحرى ، وكانت أذناه لا تزالان تطنان بصدى أعمالهم المثيرة الناجحة ولكنه الآن أمام باب عيادته لم يعد يحس بذلك الفخر الذى كانت تبعثه الى نفسه تلك الحروف التى تدل على المهنة التى يمارسها فى هذا العالم ..

وتنهد فى أسف ودس المفتاح فى القفل ودخل ..

حتى منظر عيادته بمعداتها اللامعة البيضاء ، ولا ذلك الخلاط الحديث الذى يعطيه مزيجا ناجحا من الزئبق والاشابة ولا الدواليب المعدنية البراقة التى يحتفظ فيها ببطاقات عملائه لم تنجح فى التغلب على كآبته ، ومع ذلك فقد أفلح في الابتسام لمس فوريس عندما أتت بنورها لكى تبدأ عمل اليوم .

وقالت له فى مرح :

- ان لديك موعد اليوم مع مس هولاند ، وهى تريد ان تأخذ لها صورة بالأشعة لأسنانها ، ثم هناك ضرس مسز فيفر وتريد معالجته من الخراج الذى به ..

قال الطبيب فى غموض

- حسنا ، شكرا لك .

- إن اليوم جميل ، أليس كذلك ؟.. إننى أتيت سيرا على الأقدام ..ولكن هل استمتعت بسهرة الأمس ؟..

- نعم ، كانت سهرة ناجحة ، هل اتصل مستر سميث ثانية بعد أن انصرف أمس ؟.

أجابت مس فوريس وهى تنظر فى دفتر المواعيد :

- نعم ، وقد قلت له إنك مشغول طوال اليوم ولكنه أصر وقال أنه سيمر بنا على كل حال ..

قال مارفن وهو يتناول معطفه الأبيض :

- ياله من رجل غريب .. حسنا ، لنبدأ العمل الآن .

ولم يلبث أن نسى كآبته مع تقدم النهار وعمله الذى استأثر بكل اهتمامه أسنان مسز هولاند وضرس مسز فيفر ولثة مس بيتس وضرس مستر كونروى .

وعند الظهر كان قد اقتنع بعظمة مهنته وقيمتها الحقة وإن خلت من المغامرة .

وفي الساعة الواحدة قالت له مس فوريس :

– لقد عاد هذا السيد من جديد .. أعني مستر سميث ، والغريب ان مسز فليتشر اتصلت بي منذ دقيقتين وألغت موعدها وبذلك يمكنك ان تستقبله إذا أردت .

– دعيه يدخل اذن ..

كان مستر سميث رجلا قصيرا مكتنزا مربع الكتفين متغضن الوجه ، شد على يد الطبيب في قوة وكشفت ابتسامته المتوترة عن أسنان غير نظيفة ومهملة ، ونظر الى المقعد المخصص لفحص الأسنان وخلعها فى تردد ولكنه أدار عينيه الصغيرتين السمراوين الى الطبيب دون أن يبدو فيهما أى خوف .

وقال مارفن :

– تفضل بالجلوس ، هل تشكو من شئ خاص ام أتيت لمجرد الفحص؟.

قال سميث فى صوت أجش وهو يضع إصبعا ضخما فى فمه :

– حسنا ، إننى أشعر بألم غريب هنا .

فحص مارفن الأسنان الخلفية وسرعان ما اكتشف التجويف العميق فى الضرس الثانى ، وكانت هناك مشاكل أخرى لاحظها فى اهتمام .

– حسنا يا دكتور .. ما رأيك ؟.

– إن لديك تجاويف كثيرة وأهمها ذلك التجويف فى الضرس الثانى وهو سبب الألم الذى تحس به ..

– هل لابد من ثقبه ؟

– شيئا ما ، ولن يؤلمك ذلك ..

– دع عنك هذا القول فقد سمعت مثله كثيرا من قبل .

وأطبق فمه فى قوة ولكن لم تلبث أن افترت شفتاه عن ابتسامة ثم قال :

– وعلى كل حال فإننى لم آت الآن لكى أثقب ضرسى ولكننى رأيت أن خير طريقة هى ان آتى لمقابلتك كمريض ويؤسفنى أن أفسد عليك متعتك ..

حدق مارفن فيه وأدرك أنه يقول الصدق فلم يكن يبدو عليه أنه مريض ، كان يبدو وقحا وهو جالس فى المقعد يهز ذراعه فى غير اكتراث ..

– إنني لا أفهم ماذا تريد يا مستر سميث .

– أريد ان أعقد معك صفقة طيبة يا دكتور .

واشار بيده الى دولاب البطاقات وأردف :

– إن صديقا لى يفكر فى إنشاء عيادة خاصة وأريد ان أشترى منك هذه البطاقات .

فغر مارفن فمه وقال :

– ولكن هذه بطاقتى الخاصة وهى ليست للبيع .

ابتسم سميث ابتسامة عريضة ربما تكون هذه مسألة غير عادية ، ولكن من الجائز أن تجرى استثناء .. ما رأيك فى الف دولار يادكتور ؟.

– أنت مجنون ؟.

دس مستر سميث يده فى جيبه واخرجها بمظروف ضخم وضعه فوق ذراع المقعد وهو يبتسم ولكن مارفن هز رأسه فى قوة وقال :

- إن صديقك هذا أخطأ فى تقديره ، فإن هذه البطاقات لا تفيد أحدا غيرى ، إنها بطاقات عملائى القدامى والحاليين ، وهى ليست للبيع بالتأكيد .

اتسعت ابتسامة سميث وقال :

- اننى فهمت يا دكتور ، وأنا رجل معقول ، لتنقل ألفين من الدولارات نظير هذه البطاقات .

صاح مارفن :

- مس فوريس !..

تدلى فك سميث وغاضت عنه ابتسامته وقال :

- حسنا ، لا تنفعل اذا كنت بحاجة الى الوقت للتفكير فلك ذلك ، سأعود غدا وأنصحك بأن تهتم بعرضى هذا يا دكتور ..

وأقبلت مس فوريس فى هذه اللحظة قائلة :

- نعم يادكتور جلير .

قال الرجل :

- لا بأس كنت أهم بالانصراف أشكرك على هذا الفحص يا دكتور وربما تركتك تحشو ضرسى فى المرة القادمة فإننى لم أعد استمتع بطعم البفتيك .

وعندما انصرف نظرت مس فوريس الى يد الطبيب المضطربتين وقالت :

- ما الخبر يا دكتور ؟..

اوه لا شئ ..إنه رجل معتوه ..

وضم معطفه الأبيض حول كتفيه وقال :

- ادخلى مسز فيفر وابقى معى ريثما التقط لها صورة الأشعة ..

***

فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى دخلت مس فوريس فى اللحظة التى فرغ فيها من حشو ضرس وقالت :

- اننى قلت له إنك مشغول جدا يا دكتور .

- من تعنين ؟..

- مستر سميث ، انه علي التليفون .

تنهد مارفن واعتذر لعميله وخرج من الغرفة وأخذ السماعة الموضوعة فوق المكتب وسمع صوت مستر سميث الأجش يقول :

- صباح الخير يا دكتور ، هل فكرت فى الموضوع ؟..

- بل لم أفكر فيه أبدا ، إن بطاقاتى ليست للبيع .

- اصغ الى جيداً اذن ، هذا عرضى الأخير ، ثلاثة آلاف دولار ، سأتي بالنقود فى الخامسة والنصف ..

صاح مارفن غاضبا :

- كلا ، لاداعي لحضورك يا مستر سميث الا اذا كنت تريد ان احشو لك ضرسك ، ما لم يكن الأمر كذلك فإنك تضيع وقتك .

طبعا يا دكتور يمكنك أن تحشو لى هذا الضرس فإنه يؤلمنى جدا اليوم ،

سأراك فى الخامسة والنصف ..

قضى مارفن بقية النهار وهو يتساءل عن معنى هذا كله ، وظل يتساءل هكذا وهو يحشو ثلاثة ضروس ويخلع ضرسا ويقوم بتنظيف اسنان عميل ، وأخيرا وفى الساعة الخامسة والربع انصرفت مس فوريس وأقبل الرجل القصير قبل موعده بدقائق وجلس على المقعد وهو يقول :

– هل فكرت فى الامر يا دكتور .

– نعم ، ولكن من الافضل ان اعنى بهذا الضرس قبل ان يشتد الألم ..

– طبعا يا دكتور .. كما تشاء .

ادخل مارفن المرآة الصغيرة فى فم الرجل وقال :

– سأفرغ فى وقت قصير ، سأعمل بالمثقاب بضع دقائق ثم أحشو لك ضرسك مؤقتا ثم أحشوه لك بصفة نهائية بعد يومين ..

– حسنا .

وضع مارفن المثقاب فى الآلة وباشر عمله دون ان يهتم بالدوافع التى لدى الرجل الجالس فوق المقعد ، كان كل المرضى يتشابهون بالنسبة له ، أفواه مفتوحة بداخلها مشاكل يجب حلها ، وراح المثقاب يعمل بسرعة وينظام وينظف التجويف ، وبعد أن فرغ من كل ذلك ملأه بالحشو ثم قال :

– لقد فرغت . . أرأيت الآن يا مستر سميث ..

هل أصبت أم أخطأت ، حين قلت لك أنك لن تشعر بأى ألم ؟..

– هذا حسن .. حسن تماما يا دكتور .

وعرفانا منى بجميلك سأعالج الأمر بدون ألم أنا الآخر ودس يده فى جيبه وهو يتكلم وأخرجها بمظروف أضخم من مظروف الأمس وقال :

– ان به ثلاثة آلاف دولار ، وهي لك !..

– يؤسفنى انك لم تفهمنى جيدا يا مستر ميث ، ليست المسألة مسألة نقود .

غاضت الابتسامة من وجه مستر سميث وقال :

– كنت أخشى ان تقول ذلك يا دكتور ، وكنت أرجو ان اعالج الآمر دون ان تشعر بأى ألم ولكننى ارى الآن ان لا مندوحة عن ذلك .

وعادت يده الى جيبه ولكنها خرجت هذه المرة بشئ أشد خطرا من المظروف ، مسدس صغير بدا فى يده فى مكانه الحق وقال :

– هل تري الآن الى اين يؤدى العناد ؟.. لو أنك أصغيت الى لحصلت على ثلاثة آلاف دولار ، اما الآن فلن تحصل على شئ .. هيا يا دكتور اعطنى هذه البطاقات ..

صاح مارفن وعيناه محدقتان فى فوهة المسدس :

– ولكنك لا تستطيع ان تفعل هذا .. هذه سرقة .

– أتفقنا ، أنها سرقة أعطنى البطاقات يا دكتور من الألف الى الياء ودعك من الحماقات .

استدار مارفن وقلبه يخفق بشدة وأخرج من الدولاب درجين مملوءين ببطاقات العملاء وأعطاها لسميث الذى أخذ درجا تحت كل من ذراعيه وقال وهو يبتسم :

– شكرا لك يا دكتور .. سوف يغتبط صديقى كثيرا .

وارتد الى الباب وهو يهدد مارفن بمسدسه ويقول :

– شكرا لحشوك ضرسى ، إننى أستمتع مسبقا بطعم البفتيك ..

نظر مارفن الى الباب المغلق مشدوها ثم اسرع الى الغرفة الخارجية وتناول السماعة وقال :

– الو .. الو .. اعطنى البوليس يا آنسة ، وعندما سمع صوت الشرطى المنوب يسأله عما يريد قال انه يريد أن يتحدث الى احد مفتشى القسم الجنائى .

وسمع طقطة ثم صوتا آخر يقول :

– المفتش جريج يتكلم .. ماذا استطيع أن اؤدى لك ؟.

– أصغ الى ايها المفتش ،ان اسمى مارفن وانا طبيب أسنان وعيادتى فى بروكس بيلدنج بالشارع الخامس ، وقد سلبنى احد عملائى بطاقاتى الآن تحت تهديد المسدس .

– ولكنك لا تتكلم مع القسم المختص يا سيدي .

– كلا ، انتظر ، هل وقعت جريمة قتل حديثا ؟.. هل وجدتم قتيلا تتعرفوا على شخصيته ؟.

– ماذا تعنى ؟.

– الم تفهم ؟ لقد حاول هذا الرجل ان يشترى بطاقاتى ورفضت ان ابيعه اياها فأخذها منى بالقوة واذا كنتم قد عثرتم على إحدى الجثث حديثا

فمعنى هذا انه يحاول ان يمنعكم من التعرف عليها .

صاح جريج :

– ابق حيث أنت ، سأتصل حالا ..

***

كان المفتش رجلا ضخما مربع الفكين ولكن الضيق بدا عليه حين رأى عيادة الطبيب وجلس على المقعد فى نشاط وقال :

– حسنا لماذا أنت واثق كل هذه الثقة من أن هناك جريمة قتل ؟..

– لأن مثل هذه الجريمة تقع فى كل وقت ، أجسام مشوهة أومحترقة بحيث يتعذر التعرف على أصحابها ولكن من الممكن التعرف عليهم بواسطة أسنانهم ، وكل أطباء الأسنان لديهم ببطاقات لعملائهم وللأسنان ميزات خاصة أكثر من بصمات الأصابع .

– هذا صحيح ، ولكن ليس لان شخصا سلبك بطاقاتك .

ولماذا يعرض على هذا المبلغ الجسيم ما لم يكن الأمر كذلك ؟ لاريب انه قتل احد عملائى ، ومن الجائز أنه عثر علي اسمى فى جيبه ، وإذا تعذر عليكم التعرف على صاحب الجثة فلن يكون هناك تحقيق واستقصاء..

وبلل مارفن شفتيه بلسانه فى انفعال وقال :

– هل وجدتم جثة حديثا لم تستطيعوا التعرف على صاحبها ؟.

قال جريج وهو يحك خده :

– نعم ، الواقع اننا عثرنا منذ ثلاثة ايام فى الأحراش ، بعيدا عن الطريق

رقم ٢١ على جثة رجل أصبحت رمادا بعد ان احترقت بالبنزين .

– لابد إذن أن يكون واحدا من عملائى ، وكل ما عليك هو أن تزور زبائنى وأن تعرف أيهم قد اختفى .. ستجد ضحيتك عندئذ .. وكل ما نحتاج اليه الآن هو العثور على القاتل .

– هل تعني مستر سميث ؟.

– طبعا .

هز المفتش رأسه وقال :

– لن يكون هذا هينا خاصة وقد أخذ البطاقات معه .. ولاريب أنه يختفي الآن فى مكان أمين ، هل يمكنك ان تصفه لى ؟..

قال مارفن فى انتصار :

– طبعا .. حتى أسنانه ، ولكن قد أستطيع أن أفعل خيرا من هذا .. قد استطيع ان اقول لك اين تجده ..

– أين ؟..

تلألأ وجه الطبيب وقال :

– لا أظنك ستجد صعوبة كبيرة فى الاهتداء اليه ، كل ما عليك هو أن تدلي بأوصافه الى أطباء الاسنان الذين تقع عياداتهم فى المنطقة سيلقى بنفسه بين يديك لأني عندما أدركت أنه يدبر شيئاً غير سليم ثقبت ضرسه حتى العصب ثم حشوته بمادة لن يبقى مفعولها أكثر من عشر او خمس عشرة دقيقة .

أجفل المفتش وقال :

- آى ..

كشر مارفن وقال :

- تماما .. آى .. سيحتاج الي المعونة بأسرع ما يمكن ، فإن هذا الضرس سيؤلمه ألما لا يطاق لم يشعر بمثله طوال حياته ، وكل ماعليك هو أن تستعد للقبضِ عليه .

أجابه المفتش وهويبتسم ابتسامة عريضة :

- حسنا وعندما شد مارفن على يده لحظ التجويف البسيط فى ضرسه الجانبى فقال :

- سأراك قريبا يا دكتور ..

أجابه مارفن فى سرور :

- لن يدهشنى ذلك ..



(تمت)

سلسلة روائع القصص البوليسية تقدم لك



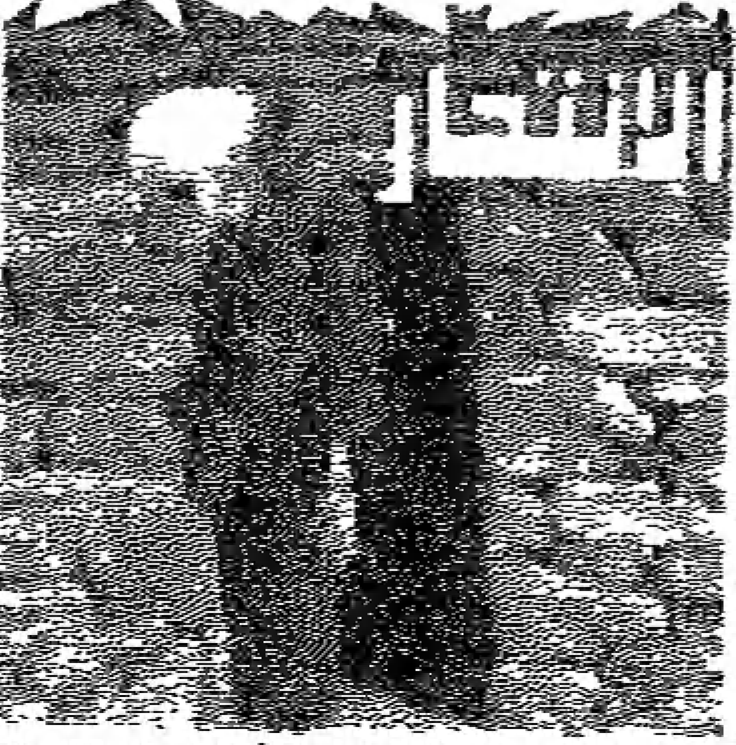










- ★ الياقوتة
- ★ الانتحار
- ★ السفاح
- ★ المقبرة
- ★ ذو الوجهين
- ★ مسرح العرائس
- ★ البيت الحي
- ★ اليوم المشئوم
- ★ اليد المقطوعة
- ★ رصاصة فى الظلام